الجامعة الأردنيـــــة
كلية الدراسات العليا

التاريـــخ: / /

نموذج رقم (١٨)
اقرار والتزام بالمعايير الأخلاقية والأمانة العلمية
وقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها
لطلبة الماجستير

أنا الطالب: لينا عبد الكريم العويري الرقم الجامعي: (٨٠٨١٠٣٦)
تخصص: التفسير وعلوم القرآن الكليـــــة: الشريعة

عنوان الرسالة: التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي

اعلن بأنني قد التزمت بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة باعداد رسائل الماجستير عندما قمت شخصيا" باعداد رسالتي وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية وكافة المعايير الأخلاقية المتعارف عليها في كتابة الرسائل العلمية. كما أنني أعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة اعلامية، وتأسيسا" على ما تقدم فانني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في الجامعة الأردنية بالغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: .... التاريخ: ١٨ / ٥ / ٢٠١١م

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالـــة
التوقيع........ التاريخ ٢٦/٥/٢٠١١

الجامعة الأردنية

نمـــوذج تفـــويض

أنا الطالب لينه عبدالكريم عواد الغويري ، أفـــوض الجامعـــة الأردنيـــة بتزويد نسخ من أطروحتي للمكتبات أو المؤســـسات أو الهيئـــات أو الأشـــخاص عند طلبها.

التوقيع:

التاريخ: ١٨/ ٥ / ٢٠١١م

التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط

لمحمد سيد طنطاوي

إعداد

لينه عبد الكريم الغويري

المشرف

الدكتور جهاد محمد النصيرات

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير

كلية الدراسات العُليا

الجامعة الأردنية

أيار ، ٢٠١١

قرار اللجنة

نوقشت هذه الرسالة (التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي) واجيزت بتاريخ ١١ / ٠٥ / ٢٠١١م

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الدكتور جهاد محمد النصيرات أستاذ مساعد – تفسير/ أصول الدين	/ مشرفاً	....
الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي أستاذ – تفسير/ أصول الدين	/ عضواً	....
الدكتور أحمد إسماعيل نوفل أستاذ مشارك – تفسير- أصول الدين	/ عضواً	....
الدكتور عبد الله محمد الجيوسي أستاذ مشارك – تفسير- أصول الدين ، جامعة اليرموك	/ عضواً	....

الإهداء

أهدي رسالتي :

إلى اللذين سهرا على راحتي وربياني عندما كنت صغيراً ، وإلى من كان لهم الفضل بعد الله عزوجل في تعليمي ومواصلة دراستي ومن شجعاني على دراسة الماجستير...

والدي الكريمين وريحانتيَّ : أبي الحبيب وأُمي الحبيبة

حفظهم الله من كل سوء وبارك بعمرهما .

إلى الذي كان لي سنداً ومُعينا بعد الله على إتمام هذه الرسالة ، ومن تحمّل مني التقصير وانشغالي بالدراسة ...

إلى زوجي الغالي : معاذ سالم الفلاحات

إلى إخواني الغوالي (عبد الرحيم وانس وأسامة ومصعب وحذيفة وبراء) وأخواتي (بنان وعائشة وبشرى) الذين كان لهم فضل عليَّ ولم يبخلوا علي بالنصح والدعاء والسؤال والتحفيز على المتابعة في الدراسة ...

إلى خالي الغالي (خالد الغويري) الذي ما بخل علي بالدعاء والسؤال والتحفيز ومن كان له الفضل بعد الله بالنصح والإرشاد والمساعدة .

إلى عمي الغالي (الشيخ سالم الفلاحات) الذي ما بخل عليَّ بالدعاء والسؤال ، وأتاح لي فرصة استخدام مكتبته الخاصة التي أفدت منها كثيرا في رسالتي .

إلى عمتي الغالية (أم هشام) ولا أنسى فضلكم جزاكم الله كل خير

شكر وتقدير

بعد حمد الله وشكره على سعة فضله عليَّ وعلى عباده ، أتقدم بجزيل الشكر والامتنان وخالص الدعاء إلى الوالد الدكتور الفاضل جهاد محمد فيصل النصيرات ، الذي شرفني بقبوله الإشراف على رسالتي ، ولم يبخل عليّ بالنصح والإرشاد والمتابعة ، وتحمّل معي عناء إتمام هذه الرسالة وصبره علي ، فأسأل الله عزوجل ان يجزيه عني خير الجزاء ويبارك في عمره.

والشكر موصول أيضاً إلى الأساتذة الكرام المناقشين : الأستاذ الدكتور محمد المجالي ، والدكتور أحمد نوفل ، والدكتور عبد الله الجيوسي ، لما بذلوه من جهدٍ مباركٍ في قراءة رسالتي ، كما وأشكر كل من أعانني على إتمام الرسالة من أساتذتي الكرام .

فهرس المحتويات

التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط

لمحمد سيد طنطاوي

إعداد

لينه عبدالكريم الغويري

المشرف

الدكتور جهاد نصيرات

ملخص

تناولت هذه الرسالة التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط لشيخ الازهر سابقاً الدكتور محمد سيد طنطاوي – رحمه الله- وقد بدأت الرسالة في الفصلِ التمهيدي بالدراسةِ النظرية ، حيثُ تضمّن المبحثُ الأول منه التعريفُ بالتفسيرِ الموضوعي من حيثِ مفهومِه ونشأتِهِ وألوانِهِ وبيان أهميته ، وتضمّن المبحثُ الثاني منه التعريفُ بالتفسيرِ الوسيطِ وصاحبه ومعالمَ منهج المصنف فيه .

كما وتناولت الرسالةُ في الفصل الأول منها أنواعَ التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط ، وقد تكلمت في المبحثِ الأولِ منه عن الوحدةِ الموضوعيةِ في السورةِ القرآنيةِ ومنهج الوسيط في تناولها وذلك بوضع القواعدَ الأساسية التي ذكرها العلماءُ في منهجيةِ البحث في السورةِ القرآنية، ثم الوصول إلى القواعدِ المشتركةِ التي اتفق عليها أغلب العلماء، ثم تناولت منهجَ التفسير الوسيطِ في الوحدةِ الموضوعيةِ للسورةِ القرآنية، بينتُ فيه موقفَ المصنف من تلك القواعد التي وضعها العلماءُ في تحديدِ وحدةِ السورةِ الموضوعية وعرضتُ لموقفِه من الترتيبِ النزولي للسور والمناسباتِ لاختلافِ العلماء فيهما.

وفي المبحث الثاني عرضت الدراسةُ للموضوع القرآني ومنهج الوسيط في تناوله ، وذكرت المنهجية المتبعة في ذلك، ثم بينت معالمَ منهج الوسيط في تناول الموضوع القرآني.

أما في الفصلِ الثاني فقد عرضتُ لدراسةٍ تطبيقيةٍ لأنواعِ التفسيرِ الموضوعي في التفسيرِ الوسيطِ والقيمة العلمية لها، فخصصتُ المبحثَ الأولَ منهُ لبيانِ الوحدةِ الموضوعيةِ في سورةِ الأنفال، وقد ظهرت فيه عناية المفسر بموضوع السورة مقارنةً بالمنهجيةِ العلميةِ التي ذكرتها في معرض الحديث عن منهجية البحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ، كما عرضت لموضوع إفساد بني إسرائيل في الأرض أنموذجاً للموضوع القرآني في التفسير الوسيط ، تناولت فيه الحديث عن بني إسرائيل ومنهج الوسيط في عرض قضاياهم على ضوء آيات القرآن الكريم، ثم عرض رأي المفسر وآراء العلماء في موضوع إفساد بني إسرائيل في الأرض، ثم ختمت المبحث بالتعقيب والترجيح والموازنة بين تلك الآراء

وختمت هذا الفصل بالحديث في المبحث الثاني منه عن القيمة العلمية لمنهجية الوسيط في التعامل مع التفسير الموضوعي ، تكلمت فيه عن المناحي الإيجابية في هذه المنهجية، ثم المناحي التي تؤخذ على منهجيته- طنطاوي- في التعامل مع التفسير الموضوعي .

وخلصت في الخاتمة إلى ذكر أهم النتائج والتوصيات.

والحمد لله رب العالمين

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، الذي فضّلنا بالقرآن على الأمم أجمعين وآتانا به ما لم يؤت أحداً من العالمين ، أنزلهُ هداية عالميةً دائمة وجعله للشرائع السماوية خَاتمة ، ثم جعل لهُ من نفسه حجة على الدهر قائمة .

وجعله مع وجازة لفظه وحجمه دستوراً جامعاً ومرجعاً شاملاً على مر العصور ، " وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِين " النحل : ٨٩.

ولقد ُجمع القران الكريم العرب بعد شتات وفرقة ، وحدهم بعد تمزق واختلاف فقال تعالى: "وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً " آل عمران:١٠٣

وقد رسم للناس طريق السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة بما حوى من قوانين وأنظمةٍ وتشريعاتٍ ، فأوجد لهم كياناً بعدما كانوا يعيشون في ظلامٍ وتخبطٍ ومكّنهم من السيادة والريادة ، فغدت هذه الأمة أمة الحضارة والعلم والمعرفة ، وكان حريّا بها أن يصفها الله بأفضل الصفات ، فقال تعالى : " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس " آل عمران : ١١٠.

وهكذا كان القرآن فجراً جديداً في كل حضارة وكل زمن و عصر ، ودعوةٌ جديدةٌ تشرق شمسها على جميع الأرض ، لتفتح قلوباً غُلفاً وأعيناً عُمياً وآذاناً صُماً ، ولتنير الدرب للمُجدّين الصادقين المخلصين ، وتكشف مكائدَ الحاقدين وطبائعهم .

لذلك جاء القرآن الكريم على نمط فريدٍ لا مثيل له ، وتحدى الله به الأنس والجن ، فعجزوا ، فكان عجزهم أبلغ دلائل الإعجاز لهذا الكتاب العظيم ، وأبلغ دليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد اقتضت مشيئة اللهِ أن يحمل لواء هذا الشرف وهذه المهمة العظيمة النبي المصطفى – صلى الله عليه وسلم – أكرم خلقه الذي كان القرآن لسان حاله ومقاله وكان القران خُلُقَه ، فبّلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمّة وصنع القادة الذين استجابوا لله وللرسول بما فيه حياتهم ، فكانوا بحق منارات يهتدي بها من قصد الهداية وابتغى الرشاد .

وكان من حفظ اللهِ لكتابه العزيز أن سخّرَ له من الأمة من واصلوا الليل بالنهار على دراسته وكشف درره وأسراره ، واعتنوا به عناية فائقةً كان فيها كل جيلٍ يبرزُ معالمَ جديدةً من معالمِ هذا القرآن المعجز الخالد .

وفي هذا العصر نجدُ أن الكتابَ الحكيمَ المحكمَ يُجلّي لنا في كل يومٍ تشريعاتٍ جديدةٍ في دقةِ الإحكامِ ، وهدايات ساميةٍ ، ووجوهَ إعجازٍ تفوقُ كل تلك العلومِ الأرضية النظرية .

قال الحصكفي " : العلوم العربية والدينية ثلاثة أقسام :

الأول : قسمُ نضجَ واحترق وهو النحو والأصول.

الثاني : قسمٌ نضجَ ولم يحترق وهو الفقه والحديث.

الثالث قسم لم ينضج ولم يحترق وهو التفسيرُ والبلاغة "[1] .

وهذا معناه أن تظهر تفاسيرَ جديدةً للقرآن في كل فترةٍ وأن يضيف العلماءُ في كل عصر أبعاداً وآفاقاً ومضامين جديدة إلى التفسير وأن يقدموا مناهجَ وأسساً جديدةً يضيفونها إلى مناهج التفسير السابقة ، وهذا لشرفِ القرآن وعظمته .

فكان حقاً على الأمة الإسلامية التي شرّفها الله تعالى بالقرآن الكريم أن تُوجه اهتمامها بدراسته والعناية به والاستقامة على العمل بمقتضاه ، وقد سخّر اللهُ لهذا القرآن من هذهِ الأمة من أفنوا أعمارهم في البحثِ والدراسةِ في التفسير ، فألفوا في ذلك مؤلفاتٌ قيّمةٌ في شتى الاتجاهات فمنهم من ألفَ في تفسيره وألوانه ومنهم من ألف في رسمه و قراءاته وآخرون في محكمهِ ومتشابههِ وغير ذلك من علومِ القرآن المتعددةِ التي تلقاها الباحثون بالدراسة والاهتمام .

وبالرغم من ذلكَ فإن تلكَ الدراساتِ لم تنتهِ ولن تنتهي فما زالت بحاجة إلى مزيدٍ من العنايةِ ذلك أن القرآن الكريم معينٌ لا ينضب ، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلقُ على كثرة الرد.

وقد جاءت هذه الدراسةُ لتبحث في لون من ألوان هذا التفسير هو التفسيرُ الموضوعيُ الذي اتجهت جهود العلماءُ والكاتبين في هذا العصر نحوه فنجد المكتبة الإسلامية تزخرُ بالعديدِ من الكتبِ التي تناولت مباحثَ التفسير الموضوعي ، وكذلك نجد الأبحاث الجامعية توجهت إلى التفسير الموضوعي في الدراساتِ القرآنية . ذلك أن هذا اللونَ يُعالج النصوصَ القرآنيةِ بما يفي ويلبي

[1] ـ الحصكفي ، محمد بن علي الحنفي ، الدر المختار شرح تنوير الأبصار، تحقيق : عبد المنعم خليل إبراهيم دار الكتب العلمية ،لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٢م.

حاجات البشر المتجددة ، وقد اتجهت هذه الدراسة للعنايةِ بتفسيرِ معاصرٍ لم يحظ بالدراسة والعناية كغيره من التفاسيرِ الحديثةِ والمعاصرةِ وهو التفسيرُ الوسيطُ للشيخ محمد سيد طنطاوي .

مشكلة الدراسة :

إن كثيراً من العلوم تلعب دوراً هاماً في حياتنا المعاصرة ، ولأن معالمَ هذه العلومَ ما زالت غير واضحة الصلة بهدايات القرآن الكريم ، فلا نكاد نجدُ نصوصاً مُحددةً من القران أو السنةِ قد تناولتها، وإنما نستشف أصولها من خلال روح تلك النصوص الكريمة ، ولأنه لا وسيلة لوضع أسس هذه العلوم وضوابطها إلا من خلال التعاملِ مع الآياتِ الكريمةِ وفقَ منهجِ التفسير الموضوعي . فقد حاولت في هذه الدراسة أن أجيبَ فيها عن بعض الأسئلة ، منها :

هل عُنى التفسير الوسيطُ بالتفسير الموضوعي وما هي أشكال اهتمامه ؟

هل يمكن تصنيف التفسير الوسيط من الكتبِ المُتبع فيها منهجَ التفسيرَ الموضوعي ؟

ما القيمةُ العلميةُ التي حققها التفسير الوسيط للتفسير الموضوعي ؟

أهمية الدراسة :

١- تتناولُ الدراسةُ لوناً مهماً وبارزاً من ألوان التفسير، ومناهجهِ وهو التفسيرُ الموضوعي ، الذي يهتم بتجلية الهدايات القرآنية ويحاول الكشفَ عنها من خلال تتبع الكلماتِ واستعمالاتها ، ومن خلال التعرفِ على المناسباتِ والروابطِ بين السور والآيات وغير ذلك من وجوه المناسبات ، بالإضافة إلى الموضوعات القرآنية .

٢- تأتي أهمية هذه الدراسة من كون هذا اللون من التفسير يتفق وروح العصر الحديث الذي يطالبنا أن نُخرج للناس أحكاما عامة للمجتمع الإسلامي ، مصدرها القرآن الكريم في صورة متكاملةٍ يسهلُ فهمها والانتفاع بها والعملُ بمقتضاها .

٣- إن جهودَ المفسرين على صفحات كتبِ التفسير تُبرزُ هدايات دستور الحياة الخالد ، الذي تستمدُ الأجيال منه مناهجَ حياتها وحلولَ مشكلاتها ، وبما أن كلَّ تفسيرٍ يتلونُ بلونِ ثقافةِ العصر الذي يُعالج فيه المفسرون قضاياه في ضوءِ القرآن الكريم ، كانت هذه الدراسة التي تُبرزُ هذا الجانب بلون ثقافةِ عصر صاحبَ التفسيرِ الوسيط .

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى الآتي :

١- رفدُ المكتبة الإسلامية القرآنية بدراسة حديثةٍ تُعنى بالتفسيرِ الموضوعي ، في تفسير مُعاصرٍ هو التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي

٢- الكشفُ عن عنايةِ التفسيرِ الوسيط بألوان التفسير الموضوعي ، من خلال تتبع منهجهِ في كيفية التعاملِ مع التفسيرِ الموضوعي وموقفهِ من الوحدةِ الموضوعيةِ للسورة القرآنية ، وكيفيةِ معالجتهِ وعرضهِ لمواضيعَ القرآن الكريم .

٣- تجليةُ الهدايات القرآنية كما عرضها التفسير الوسيط من خلال الزاوية الأبرز وهي التفسير الموضوعي ، وهذا ما سيظهرُ من خلالِ الدراسة .

الدراسات السابقة :

كانت الدراسات السابقة لهذه الدراسة على أنواع :

١- دراساتٌ تتعلقُ بالتفسيرِ الموضوعي على وجهِ العمومِ ، حيث عرضَ فيها أصحابها لأنواع التفسيرِ الموضوعي ومنهجية البحثِ فيه ، وهذه الدراسات كثيرةٌ ولعلَ من أهمها ما كتبهُ أحمد السيد الكومي ومحمد أحمد القاسم في (التفسير الموضوعي للقران الكريم) تحدثوا فيه أنواع التفسير وقد اعتبرا أن التفسير الموضوعي نوعاً مستقلاً ، وتناولا فيه الحاجة إلى التفسير الموضوعي و نشأته وطريقة البحث فيه ، كما تناول الكتاب منهج القران الكريم في عرض موضوعاته وغيرها، وعبد الحي الفرماوي في (البداية في التفسير الموضوعي) تحدثَ فيه الكاتبُ في التمهيد عن مناهجَ التفسير وقد عَدّ التفسيرَ الموضوعي منهجاً مستقلاً ثم أعقبَ ذلك بدراسةٍ منهجيةٍ للتفسيرِ الموضوعي ، ببيانِ أنواعه ونشأتهِ وبواعث التجديد فيه ومنهج دراستهِ وأهميتهِ إضافةً إلى الفرق بينهُ وبينَ مناهجَ التفسيرِ الأخرى ، وختم كتابه بدراسةٍ تطبيقيةٍ لموضوعات مُختارة من القرآن الكريم ،و أ.د مصطفى مسلم في (مباحث في التفسير الموضوعي) وقد تناول الكاتب فيه التعريف بالتفسير الموضوعي ونشأتهِ وتطورهِ وأنواعه وأهميته ، ثم مناهجَ البحث في التفسير الموضوعي ، ثم تحدث عن علمِ المناسباتِ وصلته بالتفسير الموضوعي، وقد ختم بدراسةٍ تطبيقية لنوعين من أنواع التفسير الموضوعي . ود. صلاح الخالدي في (التفسير الموضوعي بين النظرية

والتطبيق) وقد جعل الكاتب دراسته في قسمين تضمن الباب الأول الدراسة النظرية لعدة مِباحث ، تناولَ الكاتبُ في المبحث الثالث منه أنواع التفسير وموقع التفسير الموضوعي منها ، ثم تحدث فيما يليه عن تعريف التفسير الموضوعي وأهم المؤلفات فيه وأسباب ظهوره وأهميته والخطوات المرحلية للسير فيه ، وتضمن الباب الثاني من الدراسة الجانب التطبيقي على كل لون من ألوان التفسير الموضوعي .

وقد كانت هذه الدراسات المُعين لي على تأصيل مفهوم التفسير الموضوعي وسير المباحث فيه

٢- دراساتٌ تتناولُ التفسير الوسيط على وجه الخصوص ، وهنا وجدت دراسة واحدة بعنوان (منهج محمد سيد طنطاوي في كتابه التفسير الوسيط للقرآن الكريم) للباحثة سارينة بنت حاج يحيى ، تحدثت فيها عن مصادر طنطاوي في تفسيره وعن منهجه في كل منها ، وختمت بالحديث عن القيمة العلمية للتفسير الوسيط ، وقد اطّلعت على حديثها عن علم المناسبات ، ذلك أن المناسبات في رأي بعض العلماء من حلقات البحث في التفسير الموضوعي ، إلا أنها لم تتناول منهج المفسر في التفسير الموضوعي ، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تعرضُ للتفسير الموضوعي في التفسير الوسيط الذي لم يكتب فيه أحدٌ فيما أعلم .

٣- دراسات عن التفسير الموضوعي عند بعض المفسرين ، وهنا أيضاً وجدت دراسة واحدة للباحث مجاهد أحمد نوفل بعنوان (التفسير الموضوعي في تفسير المنار) تناول فيها الباحث في المبحث الثالث من الفصل التمهيدي التفسير الموضوعي ونشأته ، وقد أفدتُ من هذه الدراسة في كيفية عرض الباحث للتفسير الموضوعي في تفسير المنار .

وهناك دراسات أخرى تناولت التفسير الموضوعي منها : المدرسة القرآنية لمحمد باقر الصدر ، والتفسير الموضوعي لحكمت الخفاجي ، والمنهج الموضوعي في تفسير القران لعبد الباسط الرضا ، والإتجاه الموضوعي في تفسير القران بالمغرب لمصطفى بلقاسم .

وما تميزت به دراستي عن هذه الدراسات السابقة أنها تعرضت لجانب التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط – أحد التفاسير الحديثة – بدراسة منهجية وتطبيقية ،ولم أقع على دراسة تناولت جانب التفسير الموضوعي عند محمد سيد طنطاوي كما تناولته هذه الدراسة.

منهج البحث :

اتبعت في هذه الدراسة المناهج الآتية :

١- المنهج الاستقرائي : وذلك باستقراء النصوص القرآنية ثم قراءة تفسيرها من التفسير الوسيط، لبيان عناية المفسر بجانب التفسير الموضوعي في تفسيره .

٢- المنهج التحليلي : حيث قمت بتحليل نصوص التفسير واستخراج عناية المفسر بألوان التفسير الموضوعي في تلك النصوص وذلك من خلال دراسة تطبيقية لهذه الألوان في هذا التفسير .

٣- المنهج الوصفي : وذلك بتقسيم الدراسة إلى فصول ومباحث لسبر غور الموضوع بما ينسجم مع مفرداته وبما يجيب عن أسئلة الدراسة وأهدافها .

خطة الدراسة :

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تكون في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، فالمقدمة تناولت مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها ، والدراسات السابقة ، ومنهجية البحث وخطته ، وهي كما يلي:

الفصل التمهيدي : مقدمات حول التفسير الموضوعي وحول التفسير الوسيط ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: التفسير الموضوعي ، وفيه أربعة مطالب :

-المطلب الأول: التعريفُ بالتفسيرِ الموضوعي

-المطلب الثاني: نشأةُ التفسيرِ الموضوعي

-المطلب الثالث :ألوان التفسيرِ الموضوعي .

-المطلب الرابع: أهميةُ التفسيرِ الموضوعي

المبحث الثاني : التفسير الوسيط ومعالم منهج المصنف فيه

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : التعريفُ بالشيخ محمد طنطاوي

- المطلب الثاني : التعريفُ بالتفسيرِ الوسيط ، ومعالم منهج صاحبه في

الفصل الأول : أنواع التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط ومنهج المؤلف فيها ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ومنهج المؤلفِ في تناولها

وفيه مطلبان :

-المطلب الأول : منهجية البحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية .

-المطلب الثاني : منهج التفسير الوسيط في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية .

المبحث الثاني : الموضوع القرآني ومنهج المؤلفِ في تناوله

وفيه مطلبان :

-المطلب الأول : منهجية البحث في الموضوع القرآني .

-المطلب الثاني : منهج التفسير الوسيط في تناول الموضوع القرآني .

الفصل الثاني : الدراسة التطبيقية لأنواع التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط ، والقيمةُ العلميةُ لها ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الدراسة التطبيقية لأنواع التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية في التفسير الوسيط - سورة الأنفال أنموذجاً.

- المطلب الثاني : الموضوع القرآني في التفسير الوسيط – إفسادا بني إسرائيل أنموذجاً .

المبحث الثاني : القيمة العلمية لمنهجية التفسير الوسيط في التعامل مع التفسير الموضوعي.

وفيه مطلبان :

-المطلب الأول : المناحي الإيجابية في منهجية الوسيط في التعامل مع التفسير الموضوعي

-المطلب الثاني : المناحي التي تؤخذ على منهجية الوسيط في التعامل مع التفسير الموضوعي

الخاتمة : وفيها أهمُ النتائج والتوصيات.

الفصل التمهيدي: مقدمات حول التفسير الموضوعي وحول التفسير الوسيط

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: التفسير الموضوعي ، وفيه أربعة مطالب هي :

المطلب الأول: التعريف بالتفسير الموضوعي

المطلب الثاني: نشأة التفسير الموضوعي

المطلب الثالث :ألوان التفسير الموضوعي .

المطلب الرابع: أهمية التفسير الموضوعي

المبحث الثاني : التفسير الوسيط ومعالم منهج المصنف فيه ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بالشيخ محمد طنطاوي

المطلب الثاني : التعريف بالتفسير الوسيط ، ومعالمَ منهج صاحبه فيه

المبحث الأول: التفسير الموضوعي

اقتضى هذا المبحث أن يكون في أربعة مطالب هي :

المطلب الأول: التعريف بالتفسير الموضوعي

المطلب الثاني: نشأة التفسير الموضوعي

المطلب الثالث :ألوان التفسير الموضوعي .

المطلب الرابع: أهمية التفسير الموضوعي

المطلب الأول: التعريف بالتفسير الموضوعي

يتكونُ مصطلح التفسير الموضوعي من كلمتين رُكبتا تركيباً وصفياً،وهنا سأقوم- بإيجاز- بتعريف التفسير والموضوع كلٌ على حدة ، ثم تعريف المصطلح المركب منهما

أولا : معنى التفسير لغةً

يقول ابن فارس:" الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان الشيء وإيضاحه،من ذلك الفَسرُ ، يُقال : فَسَرتُ الشيء وفسَّرتُه . والفَسرُ والتفسِرة : نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه " .[١]

وقال الراغب :" فسر : الفسر إظهار المعنى المعقول ... والتفسير في المبالغة كالفسر ، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل ، ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها". [٢]

وقد ورد في لسان العرب : (فسر : الفسر : البيان . فسر الشيء يفسره بالكسر . ويفسره بالضم فسرا . وفسّره : أبانه . والتفسير مثله .

الفسر : كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل[٣]

وبناءً على ما سبق ، فإن التفسيرَ في اللغةِ معناهُ : البيان والإيضاح ويكون في المعاني الحسية والمعنوية

ثانيا : التفسير إصطلاحاً

يُعرّفُ أبو حيان التفسير في مقدمة تفسيره (البحر المحيط) ، فيقول :

" التفسير : علمٌ يبحثُ فيهِ عن كيفيةِ النطقِ بألفاظِ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحملُ عليها حالة التركيبِ وتتماتُ ذلك [1]

[1] - ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت : دار الفكر ، ج٤ ، ص ٥٠٤

[2] - الأصفهاني ، الراغب ، مفردات ألفاظ القران ، تحقيق : صفوان داوودي ، ط١ ، دمشق : دار القلم ، ص٦٣٦

[3] - ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت : دار الفكر ، ج٥ ، ص٥٥ .
انظر أيضا : الفيروز آبادي ،محمد بن يعقوب ،القاموس المحيط ،بيروت :دار الجيل ، بدون طبعة وتاريخ ،ج٢ ،ص١١٤

وعرفهُ الزركشي بأنه : علمٌ يُفهم به كتاب اللهِ المنزلُ على نبيه محمد- صلى الله عليه وسلم - وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه...[2]

وعرّفه محمد الطاهر بن عاشور فقال : " التفسير : اسم للعلم الباحث عن معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع "[٣]

ـ وللتفسير تعريفات اصطلاحية عدة عند العلماء ولعل التعريف الشامل والمختار هو تعريف الزركشي وابن عاشور، وذلك لتقاربهما الشديد ، واحتوائهما على أمرين هامين : بيان المعاني واستنباط الحكمة والأحكام .

ثالثا : تعريف الموضوع

الموضوع لغة : من الوضع :

أما مادة (وضع) في أصل اللغة فإنها تدل على " الخفض للشيء وحطّهِ. وَوضعته بالأرض وضعاً، والدابة تضع في سيرها وضعاً وهو سيرٌ سهلٌ يخالفُ المرفوعَ " . [٤]

ويقول الراغب : " الوضع أعمُ من الحطـ، ومنه الموضعُ ، قال تعالى " يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ" (النساء: ٤٦)

ويُقال ذلك في الحَمل والحِمل ، ويُقال : وضعت الحَمل فهو موضوع ، قال تعالى" وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ " (الغاشية : ١٤) .

ووضعُ البيت : بناؤهُ ، قال تعالى " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ " (آل عمران : ٩٦) "[٥]

وهنا نلحظ وجه الارتباط بين مدلولات (وضع) وبين (التفسير الموضوعي) بالعودة إلى ورود تلك اللفظة في القران واستعمالاتها – كما يقول د. عبد الستار سعيد – " فقد وردت في الآية " وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ "(الأنبياء ٤٧) بمعنى : إيجاب الشيء وإثباته في المكان . فيكون وصف

---

[1] - أبو حيان ، محمد بن يوسف ، تفسير البحر المحيط ، ط٢، بيروت : دار الفكر ، ج١ ، ص١٣

[2] الزركشي ، بدر الدين بن محمد ، البرهان في علوم القران ، تحقيق وتعليق : عصام فارس الحرستاني ،ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ج٢ ، ص ١٦٤

[3] - ابن عاشور ، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير ، دار سحنون ، ج ١، ص١١

[4] - ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، ج٦ ، ص ١١٧

[5] - الأصفهاني ، الراغب ، مفردات ألفاظ القران ، ص٨٧٤

التفسير (بالموضوعي) ملحوظاً فيه هذا المعنى ، لأن المفسرَ يثبتُ كلَ آية في مَوضعها من المعنى الكلي للقضية التي يبحثها " .[1]

وبالتالي فإن المفسر يلزمهُ الارتباط بمعنى مُعين وصفةٍ معينةٍ لا يتعداهما إلى غيرهما حتى يفرغُ من تفسير الموضوع الذي التزم به [2]

وعلى ضوء ما تقدم فإن المعنى اللغوي للوضع يدل على الإستقرار

رابعاً : تعريف التفسير الموضوعي

أما تعريف التفسير الموضوعي بهذا المركب المزجي فإننا نرى أن له تعريفاتٍ عدة ذكرها العلماء، سأذكر بعضاً منها ثم أذكر ملحوظاتي عليها ، وهذه التعاريف هي :

يرى د. الذهبي أن التفسير الموضوعي هو: " إفراد موضوعٍ خاصٍ في القرآنِ بجمع ما تفرق منه للدرس والبحث" [٣]

ويرى د . أحمد الكومي بأنه :" جمعُ الآياتِ القرآنية المتفرقة في سور القرآن والمتعلقة بالموضوع الواحد لفظاً أو حكماً وتفسيرها حسب المقاصدِ القرآنية " [٤]

ويرى د. محمد محمود حجازي بأنه : " جمعُ الآيات التي في موضوع واحدٍ وترتيبها حسب النزول مع الوقوفِ على أسبابِ النزول ودراستها دراسة منهجيةً موضوعيةً كاملةً تعطينا موضوعاً واحداً لهُ وحدة موضوعيةً متكاملةً متناسقةً لا تباينَ فيها ولا اختلاف حتى تلتقي جميع هذه النصوص في مصب واحدٍ مع التعرض لمناسبة الآيات في سورها "[٥] ، وقد وافقه أ .د. عبد الحي الفرماوي [٦] و د. زاهر الألمعي.[٧]

[1] - سعيد ، عبد الستار فتح الله ، المدخل إلى التفسير الموضوعي ، ط٢ ، القاهرة : دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ص٢٢
[2] - المرجع السابق ، ص٢٣
[3] - الذهبي ، محمد حسين ، التفسير والمفسرون ، بيروت : دار الأرقم ، ج١ ، ص ١٠٢
[4] - الكومي، احمد والقاسم، محمد، التفسير الموضوعي للقران الكريم، ط١، ص ١٧
[5] - حجازي ، محمد محمود ، الوحدة الموضوعية في القران ، القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ص٢٥
[6] - الفرماوي ، عبد الحي ، البداية في التفسير الموضوعي ،ط٢،ص٥٢
[7] - الألمعي، د. زاهر بن عواض، دراسات في التفسير الموضوعي للقران الكريم، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ،ط١، ص٧

الدكتور عبد الستار سعيد يرى أنه : "علم يبحثُ في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة ، والنظرُ فيها على هيئةٍ مخصوصةٍ وبشروطٍ مخصوصةٍ ، لبيان معناها واستخراج عناصرها وربطها برباط جامع " [١] .

وقد ارتضى هذا التعريف د. أحمد القضاة [٢] .

ـ ويرى د. مصطفى مسلم بناءً على ما سبق من تعاريفَ أن التفسير الموضوعي هو : " علمٌ يتناول القضايا حسب المقاصدِ القرآنية من خلال سورةٍ أو أكثر" [٣]

وبعد استعراضنا لتلك التعاريف يجدر بنا أن نعقب عليها بجملة من الملحوظات ، وأبدأ بما ذكره الدكتور جهاد نصيرات في بحثه (منهجية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية) تعقيباً على ما ذكره العلماء من تعاريف للتفسير الموضوعي ، فيرى ما يلي [٤] :

١- التداخل والتكرار بين الكثير من تلك التعريفات مما يؤكد أنَ جُلّهم قد نقل عمن سبقه دون إضافة جديدة تُذكر.

٢- أن الكثيرَ منها يُعد بياناً لمنهجيةِ التفسير الموضوعي وخطواته أكثر من كونها تعريفات جامعة لأفراد جنسها ، كما فعل أبو راس .

٣- أن بعضها قصر التعريف على نوعٍ واحدٍ من أنواعِ التفسير الموضوعي .

٤- بعضهم أدخل في التعريف ترتيب الآيات حسب النزول وهذا الأمر ظني وشاق – وسيأتي الحديث عنه في الفصل الأول- إن شاء اللهُ تعالى - فترتيب النزول ليس ركناً في التعريف .

---

1 - سعيد ، د.عبد الستار، المدخل إلى التفسير الموضوعي ،ص ١٧

2 - القضاة ، د. احمد ، دراسات في علوم القران والتفسير، منشورات جمعية المحافظة على القران الكريم ، عمان ، ط٢، ص ٢٦٢

3 - مسلم،د. مصطفى ، مباحث في التفسير الموضوعي، ط٧، دمشق دار القلم، ص١٦ ، وانظر : الخالدي، د.صلاح ، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ط٢، عمان ، دار النفائس،ص٣٤ ، يُعرفه بأنه : "علمٌ له قواعدِ وأسس وأصول ومنهج وطريقة ، يقوم الباحثُ بتفسير الآياتِ تفسيراً موضوعياً وليس تحليلياً ، ليحقق مقاصد القرآن وأهدافه الأساسية" ، وانظر : أبو راس ، مروان ، رسالة ماجستير بعنوان: دراسة موضوعية في سورة الزمر، إشراف د. احمد نوفل، الجامعة الأردنية سنة ١٩٨٦، ص ٥٢ ،وضع الباحث تعديلاً للتعريف بعد عرضه لمعنى التفسير الموضوعي عند العلماء وتعقيبه عليها بجملة من الملحوظات, فقال هو : "جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحدٍ مشتركة في الهدفِ وترتيبها حسب النزول كلما أمكن وكلما لزم الأمر ثم تناولها بالشرح والتفصيل , وهو أيضاً البحث عن اللفظ واستخداماته في القرآن وهو وحدة الغرض والهدف في السور القرآنية ومحاولة البحث في آيات كل سورة لربطها بهدفها وغايتها وإثبات أنها تخدمه وتسعى لإتمامه " .

4 - نصيرات ، د. جهاد محمد ، بحث بعنوان: منهجية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية- نقد وتأصيل-، سنة ٢٠٠٩، بتصرف بسيط واختصار، ص١٠

٥- بعض تلك التعريفات مجملٌ وعام ، فبعضهم عرّفه بأنه علمٌ وهي كلمة عامة تحتاج إلى قيود ومخصصات ، وبعضهم سوّى بين تسميته علما ومنهجا .

٦- لم يتطرق أحدٌ منهم إلى المفهوم أو المصطلح القرآني على اعتباره جزءاً من التفسير الموضوعي حتى عند الذين عدّوا المصطلح نوعاً من أنواع التفسير الموضوعي .وهذا يؤكد وقوع خلاف لدى بعضهم في مفهومه وأقسامه .

وبياناً لما سبق أجد أن د. الكومي يُعرّف التفسير الموضوعي على أنه نوع واحد هو الموضوع القرآني ، د. عبد الستار سعيد سار على ما سار عليه الكومي ، إلا أنه توسع في تعريفه ببيان منهجية البحث في الموضوع القرآني ،أما د. مصطفى مسلم قد اقتصر في تعريفه على نوعين للتفسير الموضوعي، فذكر "القضايا " وقصد المواضيع، " من خلال سورة أو أكثر" يعني الوحدة الموضوعية. مع أننا نجده يُرجّح اقتصار التفسير الموضوعي على الموضوع القرآني .

ولتعريف التفسير الموضوعي لابد من الأخذ بعين الاعتبار " أن ينطلقَ من أصلِ وجود الوحدة الموضوعية الجامعة التي تربط بين الموضوعات في السورة الواحدة أو بين أجزاء الموضوع الواحد في القرآن كله ذلك أن الكشف عن هذه المناسبات والصلات بين أجزاء تلك الموضوعات المتفرقة يُشكل رافداً هاماً من روافدِ الإعجاز"[١]

وهذا ما أشار إليه الخطابي في رسالته الموجزة في إعجاز القرآن ، رداً على من أثار شبهه على نظم القرآن فقالوا "لو كانت سورُ القرآن على هذا الترتيب فتكون أخبار الأمم وأقاصيصهم في سورة ، والمواعظ والأمثال في سورة ، والأحكام في أُخرى لكان ذلك أحسن في الترتيب ، وأعون على الحفظ ، وأدل على المراد"[2]

فردّ عليهم قائلا " فالجواب : أنه إنما نزل القرآن على هذه الصفة من جمع أشياء مختلفة المعاني في السورة الواحدة وفي الآية المجموعة القليلة العدد لتكون أكثر لفائدته وأعم لنفعه ، ولو كان لكل باب منه قبيل ، ولكل معنى سورة مفردة لم تكثر عائدته ، وكان الواحد من الكفار والمعاندين المنكرين له إذا سمع السورة منه لا تقوم عليه الحجة به إلا في النوع الواحد الذي

[1] - نصيرات، جهاد ، منهجية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية ، ص١١
[2] -الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد،البيان في إعجاز القران . ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القران،ط٥، القاهرة: دار المعارف ص٤٠

تضمنته السورة الواحدة فقط ، فكان اجتماع المعاني الكثيرة في السورة الواحدة أوفر حظا وأجدى نفعا ، من التمييز والتفريد للمعنى الذي ذكرناه "[١]

وقد أقترح د. جهاد النصيرات تعريفاً جامعاً للتفسير الموضوعي هو :

" البحث عن موضوعات قرآنية تربطها صلات خاصة لغاية خاصة وفق منهجية خاصة "[٢]

فالموضوعات القرآنية تشمل القضايا بجميع أشكالها ، أما الصلات الخاصة فتشمل التناسب بين آيات السورة الواحدة أو ما يُسمى بالوحدة الموضوعية وتشمل كذلك جمع الآيات المتحدثة عن موضوع واحد في القران ، أما الغاية الخاصة فهي معرفة حكمة التشريع والمقاصد القرآنية لهذه الموضوعات بما يكشف عن وجوه إعجازه [٣]

وبناءً على ما سبق فاني وجدت ما اقترحه د. جهاد نصيرات لتعريف التفسير الموضوعي كان تعريفاً جامعاً ، وعليه فاني أتبنى هذا الرأي وأرتضيه.

---

[1] - المرجع السابق ، ص٥٤
[2] - نصيرات، جهاد ، منهجية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية ، ص ١٢
[3] - المرجع السابق، باختصار

المطلب الثاني: نشأة التفسير الموضوعي

انقسم العلماء في تحديد نشأة التفسير الموضوعي إلى فريقين :

الفريق الأول:

يرى أصحاب هذا الفريق أن التفسير الموضوعي هو منهج جديد في فهم القرآن الكريم وتجلية هداياته وإعجازه وقدرته على التعامل مع الواقع المعيش. ويتصدر هذا الرأي الأستاذ أمين الخولي الذي يرى أن التفسير" كان قديماً يقوم على مراعاة ترتيب السور حتى عند أولئك الذين حاولوا أن يدرسوا موضوعاً بعينه مثل آيات الأحكام وغيرها فإنهم بقوا على تلك الطريقة التقليدية ، بينما التفسير اليوم هو الدراسة الأدبية الصحيحة المنهج الكاملة المناحي". [١]

وقد تبعته زوجته عائشة عبد الرحمن في الرأي وذكرت منهجه في ذلك في كتابها بعنوان (التفسير البياني للقرآن الكريم)[٢]

الفريق الثاني :

يرى أصحاب هذا الفريق أن بذورَ هذا النوع من التفسير قديمة بدأت منذ نزول القرآن وتفسير الرسول - صلى الله عليه وسلم- لآياته ، فقد كان يُفسر للصحابة ما يشكّل عليهم ويُصوب فهمهم للآيات القرآنية ، وذلك من خلال تفسير القرآن بالقرآن ، أو التفسير الذي اهتم بجمع المتشابه اللفظي للقرآن ، وما هو من قبيل المشكل في القرآن .

وأصحاب هذا الفريق هم : د. الذهبي[٣] ، و د. الفرماوي[٤] ، ود. الكومي[٥] ، ود. الألمعي[٦] ، ود. عبد الستار سعيد[٧] ، ود . أحمد العمري[٨] ، ود. مصطفى مسلم[٩] ، ود. صلاح الخالدي[١٠]

---

1 - الخولي، أمين،مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب،ط١، دار المعرفة، ص ٣٠٠
2 - عبد الرحمن، عائشة، التفسير البياني للقران الكريم، ط٥، القاهرة ، دار المعارف،ج١، ص١٣
3 - الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج 1 ص ١٤٩
4 - الكومي، أحمد ، التفسير الموضوعي للقران ، ص ٢٠
5 - الفرماوي ، عبد الحي، البداية في التفسير الموضوعي، ص ٥٦
6 - الألمعي ، زاهر ، دراسات في التفسير الموضوعي للقران ، ص١٠
7 - سعيد ، عبد الستار ، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص ٢٨
8 - العمري ، أحمد، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١ ،ص ٦٤
9 - مسلم ، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، ص ١٨
10 - الخالدي، صلاح ، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص ٣٧

ومثال ذلك ما رواه الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : " لما نزل قوله تعالى :" الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ " (الأنعام ٨٢) شق ذلك على أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وقالوا: أينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله :ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لإبنه " يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " (لقمان : ١٣)[1]

وفي ذلك لفته تشير إلى جمع آيات القران الكريم بعضها إلى بعض وهذه لبنة أساسية من لبنات التفسير الموضوعي الذي يهتم بجمع الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد لإزالة اللبس والإشكال عن مفهوم تلك الآيات .

وهذا النهج لا ينعدم في أثار الصحابة، فهذا ابن عباس –رضي الله عنه- يجمع بين آيات متعارضة في الظاهر ليُبين المعنى المُراد ويُزيل اللبس والإشكال عن تلك الآيات.

فقد روى البخاري عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس إني لأجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ , فقد قال اللهُ سبحانهُ وتعالى " فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ" (المؤمنون ١٠١) وقال الله " فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ " (الصافات ٥٠) وقال الله "وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً " (النساء ٤٢) وقال تعالى " ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ " (الأنعام ٢٣)

فقد كتموا في هذه الآية ... فأجابه ابن عباس بقوله : قوله تعالى " فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ " في النفخة الأولى وقوله " فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ " في النفخة الثانية

وإن الله يغفر لأهل الإخلاص,عند ذلك يقول المشركون , تعالوا نقل "والله ربنا ما كنا مشركين ": فيختم الله على أفواههم وتنطق أيديهم, عند ذلك يعرفون أن الله لا يُكتم عنده حديث [2]

وبمرور الزمن تطورت الحياة العلمية ونشط التأليف في معظم العلوم والفنون وشمل هذا النشاط التفسير القرآني وأهتم بالتأليف في موضوعات القرآن : كالناسخ والمنسوخ ومعاني القرآن وغريب القرآن ومشكله ومجازه وإعجازه..... ثم وضع الراغب الأصفهاني في القرن الخامس الهجري معجماً عظيماً لألفاظِ القرآن عرضَ فيه كلَ لفظةٍ من ألفاظه وجميع استعمالاتها لتكونَ

---

[1] - النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، رقم الحديث : ١٢٤،١٩٧

[2] - البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، كتاب التفسير ، باب (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) رقم الحديث ٥٦٢٩، ص ٨٨١

دائماً تحت أعين المفسرين ,فكان هذا المعجم منبعاً خصباً يَرده كل من تصدى لتفسير القرآن حسب المنهج الموضوعي[١]

ويرى د. أحمد العمري أنه في العصر الحديث نشأ التفسير الموضوعي مقترناً بالتفسير الأدبي الذي تظهر فيه ذاتية المفسر وشخصيتهُ وقدرتهُ على بلورةِ الأفكار وقد بدأ هذا اللون من التفسير في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي بجهود الإمام محمد عبده الذي دعم في تفسيره – المنار- فكرة وحدة السياق في السورة الواحدة وان المدار على عموم اللفظ لا خصوص السبب وقد سار على هذا النهج كل من سيد قطب وأمين الخولي وعائشة عبد الرحمن رحمهم الله .

ويرى أن لكلٍّ من شوقي ضيف ومحمد أحمد خلف الله جهوداً بذلت في إطار التفسير الموضوعي حيث تناولت السورة القرآنية بوصفها لُحمة متلاحمة يفسرُ أولها أخرها .من أجله جمعت في إطار محدد بين دفتي السورة ليكون التفسير الموضوعي محدداً بأغراض السورة ومناسبات الآيات وما جاء فيها من موضوعات [٢]

وقد أنكر د. زياد الدغامين أن تكون البذور الأولى للتفسير الموضوعي عائدة للقرن الأول لأن تلك الإشارات لا تثبت وحدة الموضوع في القرآن أو في السورة، غاية الأمر أن هذا المسلك يشبه في صورته صورة الجمع الموضوعي لآيات القرآن الكريم التي تعالج قضية معينة على نطاق محدود .[٣]

وبالجمع بين الفريقين أقولُ أن البذور الأولى لمنهجية التعامل مع التفسير الموضوعي بجمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد في مكان واحد قد ظهرت في العصر الأول و كانت موجودة منذ بدأ نزول القرآن ، ذلك أن النبي –صلى الله علية وسلم- كما يفسر كل موضوع من موضوعات القرآن ويجيب عن المسائل كافةً والقضايا في القران الكريم ، وقد سار على ذلك الصحابة- رضوان الله عليهم – ثم تطور الأمر فيها بمرور الزمن ،لكنّ هذا الموضوع لم يظهر وفق هذه المنهجية التي يتحدث عنها العلماء إلا في العصر الحديث ، وفي مدرسة الإمام محمد عبده ، أو مدرسة الإتجاه الأدبي الحديث - والله اعلم -.

[1] - العمري، احمد، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، ص ٤٨ بتصرف يسير
[2] - المرجع السابق بتصرف واختصار
[3] - الدغامين ، د. زياد خليل ، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ،ط١ ، عمان دار عمار، ص ٥٦

المطلب الثالث :ألوان التفسير الموضوعي .

إن المتتبع لكتب التفسير الموضوعي يجد أن هنالك ثلاثة اتجاهات رئيسية عند العلماء في تحديد ألوان التفسير الموضوعي ، ولكل منهم حجته ، وهذه الإتجاهات هي :

- الأول : يرى أن مصطلح التفسير الموضوعي يُراد به فقط دراسة الموضوع القرآني بتتبع الآيات التي عرضت له وفق منهجية علمية وضوابط خاصة، وأن هذا اللون من ألوان التفسير الموضوعي هو المراد عند الإطلاق ، وإن كان أصحاب هذا الرأي لا ينكرون الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية ، لكنهم لا يعدونها من ألوان التفسير الموضوعي .

وأصحاب هذا الإتجاه هم د. الكومي[١] ، ود الفرماوي[٢] ، ود.عبد الستار سعيد[٣] ، ود فضل عباس[٤]، وغيرهم .

- الثاني – وهو الغالب- : يرى أن الوحدة الموضوعية كما تكون في القرآن كله فإنها تكون في السورة كذلك ، فلكل سورة موضوعها الخاص وشخصيتها . ومن أنصار الوحدة الموضوعية في السورة د. محمد عبد الله دراز[٥] ، والعلامة عبد الحميد الفراهي الهندي[٦] ، وسيد قطب[٧] وعبد المتعال الصعيدي[٨]، ود. محمد حجازي[٩] ، ود. أحمد العمري[١٠] ، ود. زياد الدغامين .[١١]

- الثالث : يرون أن التفسير الموضوعي يشمل ثلاثة ألوان هي : المصطلح القرآني ، والموضوع القرآني ، والوحدة الموضوعية للسورة القرآنية .

وأصحاب هذا الاتجاه هم : د . مصطفى مسلم[١٢] ،و د.الخالدي[١٣]

---

[1] - الكومي ، د.احمد ، التفسير الموضوعي للقران ، ص ٢٣
[2] - الفرماوي ، د. عبد الحي ، البداية في التفسير الموضوعي ، ص ٥٢
[3] - سعيد، د.عبد الستار، المدخل إلى التفسير الموضوعي ، ص٢٤
[4] - عباس ، د. فضل ، التفسير أساسياته واتجاهاته ، ص ٦٤٧
[5] -دراز ، محمد عبد الله ، النبأ العظيم ، الدوحة : دار الثقافة ، ص١٥٤
[6] - الفراهي ، عبد الحميد ، دلائل النظام , الدائرة الحميدية , حيدر أباد ١٩٦٨ ،ص ٤٢
[7] - قطب ، سيد ، في ظلال القران ,ط ٧ , بيروت : دار إحياء التراث , ج ٣ , ص٤٤١
[8] - الصعيدي ، عبد المتعال ، النظم الفني في القران ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٨٧م، ص3
[9] - حجازي ،د. محمد ، الوحدة الموضوعية في القران الكريم ، ص ٥٠
[10] - العمري ، د. احمد ، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني ، ص ٧٢
[11] -الدغامين ، د. زياد ، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ، ص ١٢١
[12] -مسلم ، د. مصطفى ، مباحث في التفسير الموضوعي ، ص ٢٣
[13] - الخالدي ، د. صلاح ، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، ص٥٩

ولا بد من الإشارة هنا إلى ما ذكره د. أحمد حسن فرحات فيما يخص المصطلح القرآني ، فقد ذكر كلاما في غاية الروعة بيّن فيه مكانة المصطلح القرآني وأهميته ومنهج البحث فيه ، وسأذكر هذا الكلام مختصرا دون الإطالة ، فهو يرى أن المصطلح القرآني هو" المعنى الذي أعطاه القران للفظ العربي ، وأن بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي صلة قربى ووشائج لا تنفصم ، وأن المصطلح القرآني قد أثرى العربية وأضاف إليها من المعاني ما لا يدخل تحت الحصر والإحصاء.. وهذه المصطلحات مفاتيح الفهم لكتاب الله ، وبدونها لن نفهم القرآن الكريم الفهم الصحيح ، ودراسة المصطلح القرآني إنما تكون من خلال المنظومة القرآنية نفسها ، ولا يكن الاعتماد فيها على مرجعية غير قرآنية ، لأن صاحب الكلام في هذه الحالة هو الذي يُحدد لنا المراد بكلامه، وما اختلاف الفرق والمدارس التفسيرية إلا بسبب اختلاف المرجعيات التي يحاكمون النص القرآني إليها "[١]

وقد وضع د. أحمد فرحات خطوات دراسة المصطلح القرآني هي باختصار [٢]:

١- الإنطلاق من المعنى اللغوي للمفردة القرآنية ، وذلك بالرجوع إلى المعاجم اللغوية .

٢- الرجوع إلى معاني المفردات القرآنية التي عُني بها علماء الأمة منذ القدم في كتبهم ، ككتب غريب القران ومعاني القران ومفردات القران وغيرها .

٣- الإستعانة بالمفردات التي ربما تكون متضادة مع المعنى الذي نبحث عنه ، ذلك أن معرفة الضّد يُساعد على تحديد المعنى المُراد .

٤- الإحتكام إلى اسلوب القران في تحديد معاني بعض المصطلحات ، وبخاصة في مجال الترجيح لمعنى على أخر .

٥- جمع الآيات التي وردت فيها المفردة القرآنية المُراد الحديث عنها وتتبع معانيها المتعددة في سياقاتها .

٦- تفسير المفردة القرآنية بالمعنى الذي كان شائعاً لدى نزول القرآن ، فالعرف اللغوي هو المراد بالمعاني اللغوية .

---

[1] - فرحات ، أحمد حسن ، بحث مُقدم لمؤتمر التفسير الموضوعي في القران الكريم في جامعة الشارقة بعنوان :التفسير الموضوعي في الرسائل العلمية : دراسة المصطلحات القرآنية ضرب من التفسير الموضوعي .ص٦ بإختصار

[2] - فرحات ، أحمد ، التفسير الموضوعي في الرسائل العلمية ، ص ٧

٧- النظر في المعاني الإصطلاحية التي ذكرها علماؤنا المتقدمون مع الموازنة بينها وبين ما توصلت إليه الدراسة .

٨- تحديد معاني المصطلحات القرآنية .

ثم قام فرحات بعرض منهج دراسة المصطلحة القرآنية ، الذي وضعه معهد الدراسات المصطلحية في المغرب ، والذي يشرف عليه الأستاذ الدكتور الشاهد البوشنخي ، فقد وضع د. الشاهد تصوراً جامعاً لدراسة المصطلح القرآني ،ثم أشار د. فرحات إلى هذه المنهجية من الناحية النظرية تبدو مقنعة ودقيقة وشاملة ولكنها من الناحية العملية قد لا تكونُ مُرضية ، ذلك أنها لم تأخذ بالحسبان واقع الدارس للمصطلح ومستواه العلمي وقدرته على الإستفادة من تلك المعطيات، خاصة أنها موجهه إلى طلبة الدراسات العليا فهم بحاجة إلى أساتذة متخصصين يتابعون ما كتبه الطلبة ويتأكدون من صحة معلوماتهم [١] . وأقول وإن كانت تلك المنهجية دقيقة وشاقة إلا أنها قد تُعطي في النهاية نتائج صحيحة ودقيقة ولابد لمن أراد خوض غمار المصطلح القرآني أن يتحلى بالمعرفة والموضوعية والتفرغ لمواصلة هذا الجهد العظيم ، ولعل المقام يقتضي مني الاختصار وليس مجال ذكر تلك المنهجية هنا تجنباً للإطالة ، وأُحيل إليها لمن أراد الاستزادة والمعرفة .

ومن خلال دراستي لرأي كل واحد من هؤلاء العلماء الذين عدّوا التفسير الموضوعي مشتملاً على ثلاثة ألوان وحجته فإنني توصلت[٢] إلى :

أن المفاهيم والمصطلحات القرآنية والوحدة الموضوعية في السورة القرآنية ليست لوناً أو قسماً مستقلاً عن دراسة الموضوع القرآني ودليل ذلك :

١- ما قرره السابقون من أمثال الكومي والفرماوي أن هذا النوع من التفسير إذا أطلق فانه ينصرف إلى الموضوع القرآني ، وكذا ما قرره د. عبد الستار سعيد و د. فضل عباس أن التفسير الموضوعي هو اللون الأول – الموضوع القرآني- وهو أن يؤخذ الموضوع الواحد حسب آي القرآن الكريم .

٢- أن الدكتور مصطفى مسلم رائد هذا اللون- المصطلح القرآني- في العصر الحديث ذكر أن المعاصرين الذين كتبوا في هذا اللون وتتبعوا الكلمة القرآنية وحاولوا الربط بين دلالاتها كان عملهم أشبه ما يكون باللون الآخر المتعلق بالموضوع القرآني . ثم أن د. مسلم أخذ

[1] - فرحات ، أحمد ، التفسير الموضوعي في الرسائل العلمية ، ص ٨- ٩

[2] - تأييدا وإضافة لما ذكره د. جهاد النصيرات في بحثه (منهجية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية – نقد وتأصيل)

على أصحاب كتب الوجوه والنظائر أنهم لم يربطوا بين أصل الكلمة وسياق الآيات التي وردت فيها ليستنبطوا دلالات اللفظة وسياق استعمالها ، وهذا جزء من الموضوع القرآني، ولذلك فإننا نجد أن د. مسلم لم يعرض في كتابه (مباحث في التفسير الموضوعي) لمنهجية البحث في المصطلح القرآني كما بحث اللونيين الآخرين – الوحدة الموضوعية في السورة وفي القرآن - ولم يعرض لنماذج في المصطلح القرآني ، مما يؤكد أن د, مسلم وإن ذكر هذا اللون إلا أنه لم يفصله عن دراسة الموضوع القرآني لأنه قيّد دراسة المصطلح بالمقاصد والسياقات القرآنية دون الاقتصار على المدلولات اللفظية .[١]

٣- نجد أن د. صلاح الخالدي الذي خصص مساحة كبيرة في كتابه (التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق) لدراسة المصطلح القرآني وخطواته ،نجد أنه قد تتداخلت عنده منهجية البحث في المصطلح القرآني مع منهجية البحث في الموضوع القرآني ، وهذا ما سأبينه في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

٤- ثم إن من ذكر دراسة المصطلح القرآني والوحدة الموضوعية في السورة القرآنية على أنهما لونان مستقلان من ألوان التفسير الموضوعي لم ينكروا أنه يمكن دمجه مع خطوات دراسة الموضوع القرآني .

٥- وكذلك يرى د. زياد الدغامين أن هذا القسم من التفسير الموضوعي إنما يمثل حلقةً مهمة في سلسلة موضوع الدراسة ، ذلك أن دراسة موضوع ما إنما يرتكزُ ابتداءً على تحديد المقصود بعنوان ذلك الموضوع والمفردات التي يتشكل منها [٢]، وعلى هذا فإن دراسة مفرده قرآنية على مستوى القرآن الكريم كله ليس قسماً مستقلاً من أقسام التفسير الموضوعي لكنها حلقةُ البداية في التفسير الموضوعي

وأختمُ القولَ هنا بأن التفسير الموضوعي إنما هو الموضوع القرآني ، وأن ما عده العلماء من إشتماله على المصطلح القرآني والوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ، إنما هي تشكل حلقات أو خطوات للموضوع القرآني ، فهي ليست قسماً مستقلاً ، والباحث في الموضوع القرآني لا يمكنهُ الاستغناء عن كلا هذين اللونين والله أعلم .

---

[1] ـ للمزيد انظر : مسلم ،د. مصطفى ، مباحث في التفسير الموضوعي ، ص(٢٥-٢٧)
[2] ـ الدغامين ، د.زياد , التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ، ص١١٥ بتصرف

المطلب الرابع: أهمية التفسير الموضوعي

إنَّ التفسيرَ الموضوعي هذه الأيام يكاد يمثل المنهجَ القويم لإصلاح الواقع على هدي موضوعات القرآن الكريم ، فهو مهمة القرآن ورسالتهُ ووظيفتهُ في حياةِ المسلمين ، ذلك أن المُفسر على نهج التفسير الموضوعي ينطلق من الواقع الذي يعيش فيه ، ويدرك حاجات أُمته على مختلف جوانبها ، والذي بعدها بدوره يتوجه إلى القرآن ليتفاعل معه ويصوب رأيه ويشكل له الدستور الواجب إتباعه في ذلك الشأن أو تلك القضية .

وقد عرض محمد باقر الصدر في كتابه (المدرسة القرآنية) لأهمية التفسير الموضوعي ، وسأذكر هنا ما كتبه الصدر في ذلك :

١- " أن الباحث في التفسير الموضوعي لا يبدأ عمله من النص بل من واقع الحياة يركز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الإجتماعية أو الكونية ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني حول ذلك الموضوع من مشاكلَ وما قدمه الفكر الإنسانيُّ من حلولٍ ، وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلةٍ ومن نقاطِ فراغٍ ثم يأخذ النص القرآني، لا ليتخذ من نفسه بالنسبة إلى النص دور المستمع والمسجل فحسب، بل ليطرح بين يدي النص موضوعا جاهزاً ُمشرباً بعدد كبيرٍ منَ الأفكارِ والمواقف البشرية ويبدأ مع النص القرآني حواراً سؤال وجواب، المفسر يسأل والقرآن يجيب، المفسر على ضوء الحصيلة التي استطاع أن يجمعها من خلال التجارب البشرية الناقصة من خلال أعمال الخطأ والصواب التي مارسها المفكرون على الأرض لابد وان يكون قد جمع حصيلة ترتبط بذلك الموضوع ثم ينفصل عن هذه الحصيلة ليأتي ويجلس بين يدي القرآن الكريم لا يجلس ساكتاً ليستمع فقط بل يجلس محاوراً، يجلس سائلاً ومستفهماً ومتدبراً فيبدأ مع النص القرآني حواراً حول هذا الموضوع، وهو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح والنظرية التي بإمكانه أن يستلهمها من النص، من خلال مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحثُ عن الموضوع من أفكارٍ واتجاهات.

٢- أن عملية التفسير الموضوعي عمليةُ حوارٍ مع القرآن الكريم وإستنطاق له، وليست مجردَ إستجابة سلبيةً بل استجابةٌ فعالةٌ وتوظيفٌ هادفٌ للنص القرآني في سبيل الكشفِ عن حقيقةٍ من حقائق الحياة الكبرى.

٣- أن نتائجَ التفسير الموضوعي نتائجٌ مرتبطةٌ دائماً بتيار التجربة البشرية لأنها تمثل المعالم والإتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الإسلامية بشأن موضوع من مواضيع الحياة "[١] .

وبالإضافة إلى ما سبق نرى من أهمية التفسير الموضوعي ما يلي [٢]

٤- أن تجددَ الحاجات في المجتمع وظهور الأفكار الجديدة والعلوم الحديثة كل ذلك لا يمكن تغطيته من الناحية الشرعية وإتساع القرآن لها إلا بالتفسير الموضوعي.

٥- أن التفسير الموضوعي يُمكِنُ الباحثَ من إبراز جوانب جديدة من وجوهِ الإعجاز القرآني ، ذلك أن ما يَجدُّ على الساحة من أمور جديدة لتطور الفكر البشري يُعايشها المفسر ويُحيط بها ثم يلجأ إلى القرآن ليستنطق نصوصه مدعماً ذلك بالأحاديث النبوية الصحيحة ليُميط اللثام عن وجوهٍ جديدة من الهداياتِ القرآنية .

٦- القضاءُ على التعارضِ والإشكال الظاهر الذي يحدث للبعض عند قراءته لنصوصِ القرآن.

٧- أن في التفسير الموضوعي تيسيراً وتسهيلاً على الناس، فهو يُقدمُ مواضيع القرآن ومادته العلمية بطريقةٍ شاملةٍ وسلسةٍ يفهمها العوامُ من الناس .

---

[1] - الصدر ، محمد باقر ، المدرسة القرآنية ، دار التعارف ، بيروت ، ١٩٨٩م ، بدون طبعة أو دار نشر ، ص16

[2] - انظر : مسلم ، د. مصطفى ، مباحث في التفسير الموضوعي ، ص ٣٠ ، و عباس ، د فضل ، التفسير أساسياته واتجاهاته ، ص٦٦١

المبحث الثاني : التفسير الوسيط ومعالم منهج المصنف فيه

وقد تضمن هذا المبحث مطلبين :

المطلب الأول: التعريف بالشيخ محمد سيد طنطاوي .

المطلب الثاني : التعريف بالتفسير الوسيط ومعالم منهج المصنف فيه .

المطلب الأول: التعريف بالشيخ محمد طنطاوي

أولا : اسمه ومولده ونشأته وتعليمه

هو محمد سيد طنطاوي , ولد بقرية سُليم الشرقية – مركز طمّا – محافظة سوهاج في ٢٨ من اكتوبر / تشرين أول سنة ١٩٢٨ ميلادي

تلقى تعليمه الأساسي بقريته وحفظ القرآن, ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة ١٩٤٤ ميلادي , وبعد إنتهاء دراسته الثانوية التحق بكلية أصول الدين وتخرج منها سنة ١٩٥٨ ميلادي, ثم حصل على تخصص التدريس سنة ١٩٥٩ ميلادي , ثم حصل على الدكتوراه في التفسير والحديث بتقدير ممتاز في سنة ١٩٦٦ ميلادي , وكانت رسالته الجامعية (بنو إسرائيل في القران والسنة) أول رسالة تُقدم لجامعة الأزهر في عهد التطوير , فرسمت صورةً نموذجية لرسائل تالية وتحدثت عنها الصحف بإشباع.

عُين محمد سيد طنطاوي مُدرساً بكلية أصول الدين سنة ١٩٦٨م ، ثم عميداً لكلية أصول الدين بـأسيوط سنة ١٩٧٦م ، ثم عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين سنة ١٩٩٦م .

ثم عُين مفتياً لجمهورية مصر العربية سنة ١٩٨٦ م ، ثم شيخاً للأزهر الشريف سنة ١٩٩٦م إلى أن توفاه الله سنة ٢٠٠٩م في المدينة المنورة .

وقد أُعير خلال عمله بجامعة الأزهر إلى الجامعة الإسلامية بليبيا سنة ١٩٧٢م إلى سنة ١٩٧٦م، ثم رئيساً لقسم التفسير بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من سنة ١٩٨٠م إلى سنة ١٩٨٤م [1].

وقد أخذ عليه العلماء وكذلك الشعوب مواقفه السياسية في السنوات الأخيرة من عمره ، وتجنيده للفتاوى بما يلائم ويوالي نظام الحكم في مصر ، فشُنت عليه هجمة من الردود والكتب والمقالات التي ترد عليه وتفند رأيه بل لقد قام بعضهم بعرض ما يفضح مواقفه مع اليهود ونظام الحكم ومنهم من اشتد في هجمته وأخرجه من الملة .

[1] ـ حاج يحي، سارينة، منهج سيد طنطاوي في كتابه التفسير الوسيط للقران الكريم، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية سنة ٢٠٠٤م ، بإشراف د. مصطفى مشني ، باختصار ، ص ٢٩ ، وقد تناولت الباحثة هذه المعلومات من محمد سيد طنطاوي نفسه
و تأكدت من هذه المعلومات من الشبكة العنكبوتية على موقع www. bbc

وقد وجدت على الشبكة العنكبوتية مقالا بعنوان (الحصاد المر لشيخ الأزهر طنطاوي) بقلم د.هاني السباعي[1] - مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن - عرض فيه لحياة الشيخ ومناصبه ومواقفه السياسية ثم عرض فتاواه التي أثارت ضجةً في العالم الإسلامي ، والتي منها :

١ - مباركته توصيات مؤتمر المرأة في بكين وقال إن مطالب مؤتمر بكين الخاصة بالمساواة بين الرجل والمرأة لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية!!

٢ - تأييده الدولة في إغلاق بيوت الله وخاصة الزوايا والمساجد الصغيرة التي كان يتردد عليها بعض أفراد الجماعات الإسلامية..

٣ - تأييده قرار رئيس الجمهورية بإحالة أعضاء الجماعات الإسلامية إلى المحاكم العسكرية!!

٤ - أما أهم فتاواه: فهي إباحته للربا وهي الخاصة بشهادات الإستثمار وصناديق التوفير حيث أفتى بأن المعاملات فيها جائزة شرعاً.

٥ - وافق على منع كبار علماء الأزهر من الخطابة إلا بتصريح من وزارة الأوقاف.

٦ - أفتى بأن الفلسطينيين الذين يقومون بتفجير أنفسهم ضد أهداف مدنية إسرائيلية ليسوا شهداء.

وقد ردت عليه جبهة علماء الأزهر تحت عنوان (تبرئة وبيان) اعتبرت فيه منفذي العمليات الإستشهادية في فلسطين أنهم أفضل الشهداء، وجواز قيام الفلسطينيين بتفجير أنفسهم، لأن إسرائيل دار حرب وجميع أهلها أهل حرب ولا حرمة ولا عصمة لدمهم.

٧ - وافق على قرار وزير التعليم بمنع دخول المحجبات المدارس إلا بعد موافقة ولي الأمر.

٨ - أحال عالمين ضريرين؛ هما الدكتور إبراهيم خليفة رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين. والدكتور حسن محرم أستاذ العقيدة بالكلية نفسها إلى التحقيق بتهمة توزيع منشورات تسئ إلى مقام الإمام الأكبر شيخ الأزهر!!

٩ - فتوى صك غفران لوزير الداخلية الفرنسي (نيكولا ساركوزي) ورئيسه شيراك: من حقهم سن قانون بحظر الحجاب!! افعلوا ما شئتم بالمسلمين فقد غفر لكم شيخ الأزهر!! أما مسلمات فرنسا فإما أن يخلعن الحجاب ويدخلن في دين الملك.. فأهل فرنسا أدرى بشعابها! وإما أن يرحلن عن فرنسا أو يشربن من نهر السين أو البحر المتوسط!

وأيا كانت تلك الدعوات والمقولات والصور والمواقف والفتاوى التي لا أعلم شخصيا مدى صحة أكثرها ، فإن الدراسة هنا تعتني بالجانب العلمي لدى الشيخ بغض النظر عن شخصه وحياته الخاصة التي عاشها مع الناس فليس ميدانها هنا ولست في معرض الدفاع عن الشيخ أو الرد عليه.

---

[1] - السباعي ، د. هاني , مقال بعنوان (الحصاد المر لشيخ الأزهر طنطاوي) ، من الشبكة العنكبوتية

توفى محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر عن عمر يناهز ٨١ عاما، إثر أزمة قلبية سنة ٢٠٠٩م خلال زيارته للعاصمة السعودية الرياض.

أهم مؤلفاته [1]:

١- بنو إسرائيل في القران والسنة , وقد كانت هذه رسالته في الدكتوراه

٢- القصة في القران

٣- السرايا الحربية في العهد النبوي

٤- الخطاب الديني وكيف يكون

٥- التفسير الوسيط للقران الكريم ، وهو موضوع الدراسة

٦- معاملات البنوك وأحكامها الشرعية

٧- أدب الحوار في الإسلام

٨- حديث القرآن والسنة عن الزراعة

٩- العقيدة والأخلاق في القرآن

١٠- الدعاء

١١- تكريم الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم

١٢- حديث القرآن عن العواطف الإنسانية

١٣- الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها القرآن

١٤- أحكام الحج والعمرة

وجميع هذه المؤلفات مطبوعة وموجودة في المكتبات.

---

[1] - موجودة في مكتبة الجامعة الأردنية

المطلب الثاني : التعريف بالتفسير الوسيط ، و معالم منهج المصنف فيه

أولا : التعريف بالتفسير الوسيط

هناك تفسيران حملا اسم التفسير الوسيط ، أحدهما التفسير الوسيط لعلي بن أحمد الواحدي ، والآخر التفسير الوسيط للأستاذ وهبة الزحيلي ، و موضوع الدراسة هنا التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي .

وُضع هذا التفسير- التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي - لطلابِ كلية أُصول الدين وهي الكلية التي يُدرس فيها التفسير دراسةً شاملةً وواسعةً ، ذلك أن الدراسة فيها للقرآن الكريم وعلومه تختلفُ عن الدراسة في أي كليةٍ من كلياتِ الأزهر نفسه ، وقد كان لها الفضل والسبق في خدمة القرآن وعلومه ، لا من ناحية واحدة فحسب ، بل من كل ناحية تَمُتُ إلى الدراسات القرآنية بصلة [١].

عَدّ د. فضل حسن عباس – رحمه الله – التفسير الوسيط من قبيل التفاسير المنهجية التي أراد منها مؤلفوها أن تُدرس لطلاب الجامعات ، وقد صدرت منه عدة أجزاء في بداية الأمر ، وكان هذا التفسير للأستاذين : الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومي رئيس قسم التفسير في كلية أُصول الدين سابقا ، والدكتور محمد سيد طنطاوي الأستاذ المساعد في الكلية في ذلك الوقت – رحمهما الله – ثم صدر هذا التفسير كاملاً بعد ذلك وجاء في خمسة عشر مجلداً من القطع المتوسط ، دون أن يكون للأستاذ الكومي – رحمه الله – أيُّ ذكر لجهوده في التفسير وهذا مما يؤسف له.[٢]

حتى مقدمة التفسير خلت من أي ذكر للشيخ الكومي ، ويظهر فيها أن الجهد كان شخصيا للشيخ طنطاوي ، ولا ندري ما سبب هذا النكران مع أن" الشيخ طنطاوي كان من أخصّ تلاميذ الشيخ الكومي ، لذا كان أولى الناس اعترافا بفضله في هذا التفسير"[٣]

وقد نقلتُ هذا الكلام الذي لم أجده إلا عند د. فضل عباس – رحمه الله – في كتابه (المفسرون مدارسهم ومناهجهم) - وهو أحد تلاميذ الشيخين الكومي وطنطاوي – من باب نقل الحقيقة وإثارتها لعل جهود الباحثين تُثبت صحة هذا الكلام ويعود الفضل لأهله ، فكلهم أساتذتنا ونُجّل فيهم هذا النبع الزاخر من المؤلفات والعلوم .

[1] - انظر: عباس ، د.فضل حسن ، المفسرون مدارسهم ومناهجهم – القسم الأول ، دار النفائس –الأردن،ط١ ،٢٠٠٧م ،ص٤٨٨ باختصار
[2] - عباس ، فضل ، المفسرون مدارسهم ومناهجهم ، ص٧ بتصرف يسير
[3] - عباس ، د. فضل ، المفسرون مدارسهم ومناهجهم ،ص ٥٢٩

وبكلمةٍ أخيرةٍ فإن التفسير الوسيط يفيد منه المتخصصون كما يفيد منه ذوو الثقافات العامة ، وقد يُغني عن قراءة كثير من التفاسير ، ذلك أن المفسر اعتنى بجمع أقوال كثيرٍ من المفسرين وبخاصة أجلتهم جمعا ليس عشوائيا بل جمعٌ ناشئ عن فهم وذكاء ، يجمع فيه الموازنة بين الآراء مُرجحا ما يبدو له ، وغالبا ما يكون مُوفقا في هذا الترجيح .[1]

ثانياً : منهج سيد طنطاوي في التفسير

إن دراسة منهج مفسر ما يؤخذ من طريقتين :

١- إما من مقدمته التي خطها في بداية تفسيره ، فكثيراً ما يذكر المفسر فيها معالم منهجه والخطة التي اتبعها في التفسير وغايته وأهدافه .

٢- من العلماء والدارسين الذين كتبوا عنه ودرسوا تفسيره ، لا سيما الرسائل العلمية المُحكمة التي تُعنى بهذه الجوانب .

ومنهج د. محمد طنطاوي في التفسير الوسيط سأتناوله من الطريقين- بإذن الله تعالى- فهناك منهجية عامة ذكرها الطنطاوي في مقدمة تفسيره ، وأخرى منهجية خاصة ذكرها الدارسون للتفسير- وهنا وقعت على دراسة واحدة تناولت منهج المفسر في التفسير.

يرى د. فضل عباس - رحمه الله- أن أيَّ منهج لكي يكون ناجحاً ، مؤدياً النتيجة التي انيطت به، موصلاً للغاية التي وضِع من اجلها، لا بد أن يستجمع نواحي ثلاثاً:

١. حسن العرض مع يُسر العبارة وسهولة الأسلوب.

ويبدو هذا واضحاً في التفسير الوسيط , وذلك من خلال عرض المفسر تمهيداً للسور يبين فيه اسم السورة ووقت نزولها وفضلها ومقاصدها والمعنى الإجمالي قبل أن يبدأ بتفسيرها ، وذلك هو حسن العرض أما يُسر العبارة وسهولة الأسلوب فهما أمران ظاهران في هذا التفسير[2] وسأبين هذا في الفصل الثاني إن شاء اللهُ تعالى من خلال عرض نماذج من هذا التفسير.

٢ . شمول المادة وصحتها .

٣ . عدم الاستطراد .

---

[1] - المرجع السابق ص٥٢٩ ، بتصرف يسير وتلخيص

[2] - عباس ، د. فضل حسن ، المفسرون مدارسهم ومناهجهم – القسم الأول- ، ص ٤٩٠

وقد بين د. محمد سيد طنطاوي في مقدمته لتفسير سورتي الفاتحة والبقرة منهجه الذي اتبعه خلال تفسيره فقال:

"وستلاحظ خلال قراءتك له – التفسير - أنني كثيراً ما أبدأ بشرح الألفاظ القرآنية شرحاً لغوياً مناسباً ثم أُبينُ المراد منها -إذا كان الأمر يقتضي ذلك – .

ثم اذكر سبب النزول للآية أو للآيات – إذا وجد وكان مقبولاً –.

ثم اذكرُ المعنى الإجمالي للآية أو الجملة عارضاً ما اشتملت عليه من وجوه البلاغة والبيان , والعظات والآداب والأحكام ... , مدعماً ذلك بما يؤيد المعنى من آيات أخرى , ومن الأحاديث النبوية, ومن أقوال السلف الصالح .

وقد تجنبت التوسع في وجوه الإعراب , واكتفيت بالرأي أو الآراء الراجحة إذا تعددت الأقوال...

وذلك لأنني توخيت فيما كتبت إبراز ما اشتمل عليه القرآن الكريم من هدايات جامعة وأحكام سامية وتشريعاتٍ جليلة, وآداب فاضلة, وعظات بليغة, وأخبار صادقة, وتوجيهات نافعة, وأساليب بليغة, وألفاظ فصيحة..."[1]

وعلى ضَوء ما تقدم فإنه من الممكن أن نعتبرَ تلك المنهجية المذكورة هي منهجية عامة اتبعها المفسر في تفسيره , وألحظ هنا من كلامه عدة أمور :

١- أن المفسر حاول أن يُخرج تفسيره بشكل ميسر يقرؤه العوام من الناس ويفهمونه

٢ - تميز التفسير الوسيط بالمعنى الإجمالي للآيات والاكتفاء بالآراء الراجحة

٣ - تجنب المفسر للتفسير التحليلي للآيات

٤- إهتمام المفسر بجانب التفسير الموضوعي ودلالة ذلك :

أ- قوله" شرح الألفاظ وبيان المراد منها" ذلك أن التفسير الموضوعي يهتم ببيان الألفاظ

ب- ذكره سبب النزول للآية إن كان مقبولاً , ونحن نعلم إن الإهتمام بأسباب النزول يُفيد أحيانا في بعض المواضيع القرآنية حيث يشكل الموضوع جزءاً هاماً في التفسير الموضوعي .

---

[1] - طنطاوي ، محمد سيد، التفسير الوسيط ،دار السعادة،ج١ ، ص١٠

ج- إهتمامه بعرض العظات والآداب ودعمه لذلك بما يؤيده من آيات أخرى ولعل هذا يغطي الوجه البارز للتفسير الموضوعي وهو الموضوع القرآني - وهذا ما تبنيته كما ذكرت سابقاً في الفصل التمهيدي

د- إبراز المفسر للهدايات والأحكام والعبر وهذه هي الغاية من التفسير الموضوعي .

ومن خلال قراءَتنا للتفسير سنرى أن د. طنطاوي التزم بمنهجه هذا ، وإنه قصد في تفسيره منهج التفسير الموضوعي مع أنه لم يُشر إلى ذلك صراحة.

أما منهجيته الخاصة فهي كما يلي[١]:

١- اعتماده تفسير القران بالقرآن أصلاً قام عليه منهجه في التفسير لأنه أحسن طرق التفسير وأصحها

٢- اعتماده على كتب الصحاح من الحديث ، خاصة رواية الإمامين البخاري ومسلم [٢]

٣- إيراده تفسير الصحابي مؤيداً بالدليل من الكتاب والسنة الصحيحة [٣]

٤- وعن منهجه في أسباب النزول كان كالتالي :

أ- لم يذكر سبب نزول كل سورة وإنما اكتفى بذكر أسباب نزول بعض السور والآيات

ب- يذكر الروايات في سبب النزول أو يقتصر على بعضها وأحياناً يذكر ملخصها [٤]

ج- يذكر الروايات في سبب النزول مع الإشارة إلى مصدرها من كتب التفاسير.[٥]

د- يكتفي بذكر الرواية من غير الإشارة إلى راويها أو مصدرها.

٥-منهجه في المكي والمدني :

تنوع منهج الشيخ في المكي والمدني وفق ما يأتي :

---

[1] - حاج يحيى ، سارينا، منهج سيد طنطاوي، ص٨٠
[2] - حاج يحيى ، سارينا ، منهج سيد طنطاوي ، ص٨٢
[3] -حاج يحيى ، سارينا ، منهج سيد طنطاوي ، ص ٨٧
[4] -ومثاله سورة المائدة ، انظر : التفسير الوسيط ٢٨٦/٤
[5] - ومثاله في الأعراف الآية (١٨٠) انظر : التفسير الوسيط ، ٤٤١/٥

أ – ذكره لنوع السورة في مقدمة تفسيرها ، وبالتحديد في التمهيد .

ب – قد يذكر نوع السورة بتحديدها مكية أو مدنية دون ذكر أي اختلاف في ذلك ، أو دليل يؤيد الاتفاق ومثاله ما ذكره في سورة البقرة وآل عمران والمائدة

ج - يذكر نوع السورة إن كانت مكية أو مدنية مع ذكر ما يؤيد ذلك ، ومثاله في سورة النساء[١]،وقد لا يذكر ذلك كما في سورة الروم والجاثية[٢].

د- قد يحدد نوع السورة ويذكر الاختلاف في نوعها ثم يرجح في بعض الأحيان – كسورة النساء – وفي بعضها الآخر لا يرجحها ومثاله في سورة الجمعة[٣]

وهكذا نجد عناية المفسر بمكية السور ومدنيتها ,مع تعدد منهجه في ذكرها

ه- ومما ذكره من المكي والمدني مؤيداً بالدليل العقلي المستند إلى الخصائص بالموضوعات مثاله في تمهيده لسورة الفلق[٤]

أقول هنا د. طنطاوي يبين المكي والمدني في السور القرآنية مرجحاً بما يستند إليه من الدليل النقلي كقول الصحابي والعقلي كالسياق [٥]

٦- منهجه في علم المناسبات :

عُني د. طنطاوي بعلم المناسبات وكان منهجه في ذلك يقوم على أمرين :

أ- مناسبة السورة بعضها ببعض[٦]

ب- مناسبة الآيات بعضها ببعض[٧]

إذا منهجه أنه يأخذ بآراء بعض العلماء الذين سبقوه كالرازي وأبي حيان والآلوسي ومحمد عبده وغيرهم متى اقتضى الأمر .و أحيانا يذكر رأيه ولا ينقل عمن سبقه وهذا ما نجده واضحاً في بداية

---

[1] -انظر : التفسير الوسيط ، ٤/ ٧

[2] - في سورة الروم : انظر : التفسير الوسيط ٦١/١١ والجاثية ، انظر : التفسير الوسيط ١٣/ ١٣٩

[3] - انظر :التفسير الوسيط ١٥/ ٣٧٣

[4] - انظر : التفسير الوسيط ، ١٥/ ٥٤٣

[5] -حاج يحيى ، سارينة ، منهج سيد طنطاوي ، ص ١١٨

[6] - ومثاله مناسبة سورة هود لسورة يونس، انظر : التفسير الوسيط ٧/ ١٤٨

[7] - ومثاله في سورة الأنعام، انظر التفسير الوسيط٥/ ١١٧

تفسيره لكل مقطع من مقاطع أي سورة.ولكن جمعه لآراء العلماء في الأغلب كان شاملا وبما يخدم النص القرآني ، دون إسهاب وإطالة .

الفصل الأول

أنواع التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط ومنهج المؤلف فيها

ويضم مبحثين:

المبحث الأول : الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ومنهج المؤلف في تناولها

المبحث الثاني : الموضوع القرآني ومنهج المؤلف في تناوله

المبحث الأول :الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ومنهج المؤلف في تناولها

بينّت الباحثة في الفصل التمهيدي من هذه الدراسة ألوان التفسير الموضوعي عند العلماء ، وتوصلت الباحثة إلى أن التفسير الموضوعي يُقصد به الموضوع القرآني عند الإطلاق ، وأن المصطلح القرآني والوحدة الموضوعية للسورة القرآنية تمثل خطوات وحلقات في الموضوع القرآني ولا يمكن أن نعدهما أقساما مستقلة في التفسير الموضوعي ، وحيث إن ميدان الدراسة هو التفسير الوسيط فإن القارئ له يرى أنه قد تُجلى للمفسر العناية بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وفي هذا الفصل ستقوم الباحثة ببيان القواعد التي تقوم عليها الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية لدى العلماء مع بيان تلك القواعد عند الشيخ طنطاوي بإذن اللهِ تعالى .

وقد اقتضى أن يكون هذا المبحث في مطلبين :

المطلب الأول: منهجية البحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

المطلب الثاني : منهج التفسير الوسيط في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

المطلب الأول : منهجية البحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله- : " إن السورة الواحدة مهما تعددت قضاياها فهي تكون قضية واحدة ، تهدف إلى غرض واحد أو تسعى لإتمامه وإن اشتملت على عديد من المعاني " [١]

وقد جعل الإمام محمد عبده- رحمه الله- السورة وحدة متناسقة ، وهذا من الأسس التي قام عليها منهجه في التفسير[٢].

ثم نرى الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – أكثر من اعتنى بالوحدة الموضوعية في سور القران الكريم من حيث شمولية التطبيق ، فيقول :

" إن لكل سورة من سور القرآن شخصيتها الخاصة ، وملامحها المميزة ، ومحورها الذي تشد إليه موضوعاتها جميعاً ، ومن مقتضيات الشخصية الخاصة أن تتجمع الموضوعات في كل سورة وتتناسق حول محورها في نظام خاص بها تبرز فيه ملامحها وتتميز به شخصيتها " [٣]

وعبد الحميد الفراهي- رحمه الله- نجده يكتب تفسيراً سماه نظام القرآن ، و يجعل له مقدمة سماها دلائل النظام ، أصل فيها منهج استخراج الوحدة الموضوعية للسورة .

ومن كلامه في المقدمة السابعة لتفسيره بعنوان " في أثبات أن السورة الواحدة لها نظام واحد ، ونفي الإقتضاب " يقول :

"إنا نرى أن سور القرآن منها قصار ، ومنها طوال بأضعاف من قصارها ، فلو لم يكن أمر واحد ، ومنهج كامل تتم السورة بتمامه لجعل القرآن كله سورة واحدة ، ولما لم يرد الله أن يجعل السور على مقدار خاص ، فلو لم يرد أمراً واحداً ونظاماً كاملاً في سورة واحدة لما سلك آياتها في سلك واحد بل فرق بين أشتاتها ، فلا حرج أن صارت أبعاض سورة على قدر سطر واحد "[٤]

ثم نجد الدكتور دراز – رحمه الله – يُقر لنا أن السورة وحدة قرآنية متميزة ، فيقول :

---

[1] - الشاطبي، أبو اسحق إبراهيم بن موسى(٧٩٠هـ) ، الموافقات في أصول الشريعة، وعليه شرح وتخريج بقلم الشيخ عبد الله دراز، دار الحديث، القاهرة، طبعة عام ٢٠٠٥م، ج٣ ، ص٥٠

[2] - نوفل ، مجاهد ، التفسير الموضوعي في تفسير المنار ،رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية ،سنة ٢٠٠٨، إشراف أ. د. محمد المجالي ، ص١٧

[3] - قطب ، سيد ، في ظلال القران ، ط٧، بيروت : دار إحياء التراث ، ج٣ ، ص٤٤١

[4] - الفراهي ، عبد الحميد ، نظام القران ، ص٤٦

" إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً ، وأوزاعاً من المباني جُمعت عفواً ؛ فإذا هي لو تدبرت بنيةً متماسكة قد بُنيت من المقاصد الكلية على أُسس وأُصول ، وأقيمَ على كل أصل منها شُعبٌ وفصول ، وامتدَّ من كل شعبة منها فروعٌ تقصرُ أو تطول فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقلُ بين حُجُراتٍ وأفنيةٍ في بنيانٍ واحدٍ قد وُضع رسمهُ مرةً واحدة لا تُحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق ولا بشيء من الإنفصال في الخروج من طريق إلى طريق ...كلُ ذلك بغيرِ تكلفٍ ولا إستعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حُسن السياقة ولُطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه "[١]

ولعل ما ذكره الدكتور دراز يشير بوضوح إلى وحدة السورة الموضوعية وأن جميع أجزاء السورة لا تنفصل بحال عنها بل كُلها رباطٌ محكمٌ ، وأشار إلى قاعدة هامة في منهجية البحث في السورة بأن يبتعد الدارس فيها عن التكلف والتنطع ، ذلك أن الوحدة منساقة في السورة بأجمل صورة. ثم نراه يبين لنا وجود منهجية وخطة لمعرفة موضوع السورة القرآنية فيقول :

" إن هناك تخطيطاً واضحاً ومحدداً ، ويتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة ، فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطها الرئيسية ، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر ، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة وأخيراً تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة "[٢]

وتعقيباً على كلام دراز نجد الشيخ محمد طنطاوي في تفسيره يجمع موضوعات السورة التي يدرسها ومقاصدها ثم يُعقب عليها بذكر موضوع السورة ، ومثالهُ ما قالهُ في البقرة :

" فهذا عرضٌ سريعٌ لأهم مقاصد سورة البقرة ، قدمناه بين يديها لنعطي القارئ الكريم صورة متميزة عنها ، ومن هذا العرض نرى أنه بجانب احتوائها على أصول العقائد ، وعلى كثير من أدلة التوحيد ، قد وجهت عنايتها إلى أمرين اقتضتهما حالة المسلمين ، بعد أن أصبحت لهم دولة بالمدينة يجاورهم فيها عدد كبير من اليهود ، أما الأمر الأول فهو توجيه الدعوة إلى بني إسرائيل، ومناقشتهم فيما كانوا يثيرونه حول الرسالة الإسلامية من مؤامرات ...أما الأمر الثاني فهو التشريع للدولة الإسلامية الفتية..."[٣]

[1] - دراز ،محمد عبد الله ، النبأ العظيم ، ص١٥٥
[2] - دراز ، محمد ، النبأ العظيم ، ص١٦٢
[3] - التفسير الوسيط ، ج١ ، ص٣٦

أولا : قواعد البحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

لا بد للباحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية من إتباع قواعد نظرية وتطبيقها على دراسته ، ذلك أن دراسة السورة موضوعياً يتطلب السيرَ في خطواتٍ محددةٍ للتوصلِ إلى موضوع السورة والموضوعات الجزئية فيها .

وقد سار أغلبُ العلماءِ والكاتبين في بيانِ قواعدَ البحثِ في الوحدةِ الموضوعيةِ للسورةِ القرآنية على القواعد نفسها ، فمنهم من اختصر، ومنهم من أطال الكلام وأسهب في البيان ، ومنهم من وضعها ضمن الموضوع القرآني ولم يتحدث عنها بشكل مستقل ، وبيان ذلك كما يأتي:

الدكتور الكومي نجدهُ بعد أن ذكرَ أن للتفسير الموضوعي لونين هما الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ، والموضوع القرآني ، نجدهُ يُؤيدُ القولَ بأن الموضوع القرآني هو المراد والمقصود بالتفسير الموضوعي ، ثم يذكر منهجية البحث في الموضوع القرآني دون أن يتطرق لمنهجية البحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية [١] .

وقد تبعه الدكتور عبد الحي الفرماوي [٢] ود. عبد الستار سعيد في ذلك[٣] .

أما الدكتور مصطفى مسلم فكان أول من وَضَعَ منهجية خاصة للبحثِ في الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية والتي تُعد من أشمل المناهج التي يجد الباحث فيها بغيته وهي كما يأتي[٤] :

١- التقديم للسورة بتمهيد يبين (سبب النزول ، مرحلتها، أسماءها، خصائصها ، فضائلها....)

٢ ـ معرفة الهدف الأساسي في السورة وذلك من خلال :

ـ دلالة الاسم

ـ الموضوعات المطروحة في السورة

ـ وقت نزولها

ـ المناسبات بين مقاطع السورة

[1] ـ الكومي ، احمد ، التفسير الموضوعي للقران ، ص ٢٤
[2] ـ الفرماوي ، د. عبد الحي ، البداية في التفسير الموضوعي ، ص ٥٢
[3] ـ سعيد ، عبد الستار ، المدخل إلى التفسير الموضوعي،ص ٢٢
[4] ـ مسلم ، د. مصطفى ، مباحث في التفسير الموضوعي ، ص٤٠

٣ - تقسيم السورة إلى مقاطع تتحدث آياتها عن عنصر من عناصر الهدف واستنباط الهدايات القرآنية منها وذكر المناسبات بينها

٤ - ربط المقاطع وما يستنبط من هدايات من كل منها والهدف الأساسي للسورة

وقد وافق الخالدي رأي مسلم في منهجية البحث في الوحدة الموضوعية للسورة ، ولكنه تحدث بإسهاب وتفصيل عن تلك الخطوات حتى تتداخلت عنده بعض النقاط مع المنهجية العامة لإعداد أي بحث علمي .[١]

أما د. زياد الدغامين فيرى أن منهجية البحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية تقوم على النقاط الآتية [٢] :

١- معرفة البيئة المعنوية التي نزلت فيها السورة، وهي ما كان يشغل المسلمين وقت نزول القرآن

٢- النظر إلى السورة القرآنية نظرة شمولية من أول أية وحتى نهاية السورة وتجنب النظر الجزئي

٣- النظر المتأمل في آيات السورة لإدراك مابين آياتها من مناسبات

٤- أن تتعانق كل مرحلة مع أختها من خلال موضوع السورة الشامل

٥- ذكر المناسبات بين كل جملة وجملة لتظهر من خلالها الصلة القوية المحكمة التي تربط آيات كل مرحلة .

وقد ردَّ د. زياد الدغامين على من عدَّ أن وحدةَ الموضوعِ في السورةِ تقومُ على التمهيد الذي يُقدم فيه المفسر الأهداف والغايات وما إلى ذلك فيقول " إن وحدة الموضوع في السورة لا تعني أن يوضح المفسر مقاصد السورة ولا أن يعدد أهدافها وغاياتها ثم يبدأ بتفسيرها بعيداً عن تلك الأهداف والمقاصد بل لا بد أن تنتظم تلك الأهداف والغايات في موضوع السورة الأعظم "[٣].

كما نبّه د. الدغامين الباحث على الأخذ بعين الاعتبار أثناء تفسيره للسورة أمرين :

[1] - انظر : الخالدي ، د . صلاح ، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، ص ٨٣-٨٦

[2] -الخالدي ، صلاح ، التفسير الموضوعي ، ص ١٣٤

[3] - الدغامين، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه، ص ١٠٩ بتلخيص

الأول : الانطلاق من الواقع الذي يعيشه المفسر إلى القرآن بهدف تحقيق العلاج والشفاء لهذا الواقع

الثاني: الإنطلاق من القرآن إلى الواقع بهدف تحقيق البناء الحضاري للأمة من خلال الموضوع الذي طرحته السورة وعالجته .

كما حذّر من أمرين :

١- التجزيئية في فهم موضوعات القرآن أو موضوعات سوره

٢- أن يلون المفسر تفسير السورة بشيء من ألوان التفسير وإتجاهاته القديمة والحديثة [1].

وبعد هذا العرض لأهم أراء العلماء في منهجية البحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية نجد أن هناك تداخلاً في الخطوات وأن بعضاً منها لا يختص بالوحدة الموضوعية للسورة بل يشمل اللون الأخر من التفسير الموضوعي ، بل يشمل أي بحث من بحوث الدراسات القرآنية.

ولأن بعض العلماء عدّ الترتيب النزولي من منهجية البحث في وحدة السورة القرآنية ، كان لا بد من الإشارة إلى هذا الموضوع والى الخلاف الذي دار بين العلماء في صحة هذه الخطوة .

ثانياً : الترتيب المصحفي و الترتيب النزولي للقرآن الكريم

للعلماء أقوال في تفسير القرآن حسب النزول، أو حسب الترتيب في المصحف ، وسأذكر آراء العلماء هنا باختصار وبما يفيدني في البحث بإذن الله تعالى .

الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القران) نجده يذكر آراء العلماء في تلك المسالة ، ويرجّح القول بأن ترتيب السور توقيفي[2]

الدكتور أمين الخولي يرى " أن تفسير القران سوراً وأجزاء لا يُمكّن من الفهم الدقيق والإدراك الصحيح لمعانيه وأغراضه ، إلا إن وقف المفسر عند الموضوع يستكمله في القرآن ويستقصيه إحصاءً فيرد أوله إلى أخره ويفهم لاحقه بسابقه " ثم يقول "فصواب الرأي –فيما يبدو – أن يُفسر القرآن موضوعاً موضوعاً لا أن يُفسر على ترتيبه في المصحف الكريم سوراً أو قطعاً ، ثم إن

[1] - انظر : الدغامين، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ، ص ١١٠
[2] - انظر : الزركشي ، محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القران ، ج٢ ، ص١٦٤

كانت للمفسر نظرة في وحدة السورة وتناسباتها واطراد سياقها فلعل ذلك إنما يكون بعد التفسير المستوفي للموضوعات المختلفة فيها "[1] ، وهذا ما أطلق عليه الخولي المنهج الأدبي في التفسير.

وقد أشار الأستاذ محمد باقر الصدر إلى ما أشار إليه الخولي ، ولكنه شن هجمة شرسة على التفسير التحليلي أو التجزيئي مُدعيا أنه أعاق الفكر الإسلامي لقرون عديدة منتصراً للتفسير التوحيدي أو الموضوعي ،محتجا بذلك أن التفسير التحليلي سلبي في الغالب يبدأ من النص وينتهي إليه ، والمفسر ليس له سوى الإصغاء والتفهم بخلاف التوحيدي – أو الموضوعي – الذي يبدأ من الواقع ثم يعود إلى النص في محاولة استنطاقه " [2] .

الأستاذ سيد قطب- رحمه الله – في مطلع سورة الأنفال نجده يقول :

" نعود الآن إلى القرآن المدني – بعد سورتي الأنعام والأعراف – المكيتين ، وقد سبقت منه في هذه الظلال – التي نسير فيها وفق ترتيب المصحف لا وفق ترتيب النزول – سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة – ذلك أن الترتيب الزمني للنزول لا يمكن القطع الآن فيه بشيء – اللهم إلا من ناحية أن هذا قرآن مكي وهذا قران مدني على وجه الإجمال ، على ما في هذا من خلافات قليلة– فأما الترتيب الزمني المقطوع به من ناحية زمن نزول كل آية أو كل مجموعة من الآيات أو كل سورة فيكاد يكونُ متعذراً ، ولا يكادُ يجدُ الإنسان فيه اليوم شيئا مستيقنا إلا في آيات معدودات تتوافر بشأنها الروايات أو تقطع بشأنها بعض الروايات ، وكل ما في محاولة تتبع آيات القران وسوره وفق الترتيب الزمني للنزول من قيمة ، ومن مساعدة على تصور منهج الحركة الإسلامية ومراحلها وخطواتها فإن قلة اليقين في هذا الباب تجعل الأمر شاقاً ، كما أنها تجعل النتائج التي يتوصل إليها تقريبية ظنية وليست نهائية يقينية " [3]

كما اختلف العلماء في تفسير القرآن الكريم تبعاً للترتيب النزولي لسوره ولكل منهم حجته " فممن سار على طريقة الترتيب النزولي في التفسير – بعد محاولات بعض المستشرقين من أمثال (غريم) و(نولدكه) و (وليم موير) وغيرهم – في بلاد الشام ما قام به الأستاذ محمد دروزة عام ١٩٦٣م في (التفسير الحديث) " [4] ، حيث قال في مقدمته :

---

[1] - الخولي ، أمين ، مناهج تجديد في البلاغة والأدب والنحو والتفسير ، ص ٣٠٥
[2] - الصدر ، محمد باقر ، التفسير الموضوعي ، ص١٤
[3] - قطب ، سيد ، في ظلال القران ، ج ٣ ، ص٧٢٨
[4] - النصيرات ، د. جهاد ، بحث : إشكالية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية ، ص ٢٩

" ولقد رأينا أن نجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السورة بحيث تكون أولى السور المفسرة الفاتحة ثم العلق ثم القلم ثم المزمل إلى أن تنتهي السور المكية ثم سورة البقرة فسورة الأنفال إلى أن تنتهي السور المدنية ، لأننا رأينا هذا يتسق مع المنهج الذي اعتقدنا أنه الأفضل لفهم القرآن وخدمته ، إذ بذلك يمكن متابعة السيرة النبوية زمنا بعد زمن ، كما يمكن متابعة أطوار التنزيل ومراحله بشكل أوضح وأدق ، وبهذا وذاك يندمج القارئ في جو نزول القران وجو ظروفه ومناسباته ومداه وتتجلى له حكمة التنزيل " [١]

واتبعه في ذلك الشيخ عبد القاهر ملا حويش ، واتبع ذات الطريقة عام ١٩٦٤م بتفسيره المسمى (بيان المعاني على حسب ترتيب النزول) [٢]

ثم جاءت محاولة الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني في (معارج التفكر ودقائق التدبر) الذي أشار في مقدمته أنه تابع " تدبر السور على ما ذكر العلماء بعلوم القرآن من ترتيب نزولها لا على وفق ترتيبها الاجتهادي في المصاحف ..أخذا من تسلسل البناء المعرفي التكاملي ، وتسلسل التكامل التربوي... " [٣]

وتبعه د. محمد عابد الجابري في (فهم القران الحكيم : التفسير لواضح حسب ترتيب النزول) حيث ذكر في مقدمته أنه بنى التفسير على أساس ترتيب النزول ، وأنه عبّر عنه بـ (مسار التنزيل) وعلى مستوى مسيرة الدعوة لمحمدية والسيرة النبوية [٤]

ومما دعا هذا الفريق من العلماء إلى السير على هذه الطريقة في التفسير استنادهم إلى أن ترتيب السور في المصحف كان بالإجتهاد وليس بالتوقيف .

وممن دعا إلى هذه الفكرة الأستاذ أمين الخولي

ويرى د. فريد السلمان – رحمه الله – أنه لا مستند لمثل هذه الطريقة في التفسير بل هي مخالفة لإجماع الصحابة ولآراء المحققين من العلماء ، وأنه لا جدوى من هذه الطريقة في إدراك حكمة

---

[1] - دروزة ، محمد عزة ، التفسير الحديث ، دار إحياء الكتب العربية ،ج١ ،ص٨

[2] - حويش ، عبد القاهر ملا ، بيان المعاني على حسب ترتيب النزول ، مطبعة الترقي ، ١٩٦٣م ، ص٦

[3] - انظر : الميداني ، عبد الرحمن حبنكة ، معارج التفكر ودقائق التدبر ،دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠٠،ج ١ , ص٦

[4] - انظر : الجابري ، محمد عابد ، فهم القران الحكيم : التفسير الواضح حسب ترتيب النزول ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ،٢٠٠٩م، ص ١٧

التنزيل فإن الترتيب المصحفي يحققها ، بل إن هناك أسراراً بيانية كثيرة في هذا الترتيب التناسبي التوقيفي بين سور القرآن الكريم "[١]

وكذلك ذهب د . عدنان زرزور [٢]

ومن العلماء من يرى جدوى هذه الطريقة في دراسة القصص القرآني والدراسات الموضوعية في القرآن الكريم ، كما أشار جل العلماء الذين كتبوا عن منهج دراسة الموضوع القرآني أو المصطلح القرآني إلى ضرورة مراعاة الترتيب النزولي للآيات ، لكن يبقى مما لا شك فيه أن هذا الموضوع يثير إشكاليات كثيرة ، وقد أشار د. جهاد النصيرات إلى بعضها وهي[٣] :

١- الإختلاف في تحديد المكي والمدني من السور.

٢- الإفتقار إلى الأدلة الشرعية التاريخية في محاولة التصنيف

٣- تداخل الآيات المكية والمدنية داخل السورة الواحدة

٤- فيها تجاوز لروافد هامة من روافد الإعجاز القائم على إدراك المناسبة بين الآيات والسور

٥- ضياع كثير من القيم التربوية والإيمانية الموجودة وفق الترتيب المصحفي

وعليه فإن القول بالترتيب التوقيفي للسور يقتضي وجود المناسبة بين كل سورتين أو بين السور"[٤].

ثالثاً : المناسبات بين السور والآيات .

بينت فيما سبق أن العلماء اختلفوا في وجود المناسبة بين السور والآيات وقبل بيان موقفهم من ذلك لابد من الإشارة بشكل موجز إلى تعريف المناسبة لغةً واصطلاحاً ثم بيان موقف العلماء منها وأهميتها في التفسير الموضوعي .

---

[1] - انظر : السلمان ، د. فريد مصطفى، محمد عزة دروزة وتفسير القران الكريم ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٣م، ص١٣٤

[2] - زرزور ، عدنان محمد، مدخل الى تفسير القران وعلومه ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٥م ، ص١٣٦

[3] - النصيرات ، د.جهاد ، إشكالية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية ،ص٣٠

[4] - نوفل ، مجاهد أحمد ، التفسير الموضوعي في المنار ، ص ٦١

المناسبة لغة :

من الفعل الثلاثي (نَسَبَ) ، النون والسين والباء : كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء،منه النَّسَبُ سمي لاتصاله وللإتصال به ، والنسيب الطريق المستقيم ، لاتصال بعضه مع بعض"[1]

وفي لسان العرب : " نسب : النّسبُ : نَسَبُ القرابات ، وهو واحد الأنساب ..."[2] .

وبناءً على ما سبق نجد أن المناسبة تعني : المشابهة والمشاكلة

المناسبة اصطلاحا

يرى الإمام البقاعي – رائد علم المناسبات - في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) أن علم المناسبة " هو علم تعرف منه علل الترتيب وموضوعه : أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب ،فعلم مناسبات القرآن : علم تُعّرف منه علل ترتيب أجزائه ، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعنى لما اقتضاه الحال "[3] .

وبالإستناد على ما ذكره الكاتبون في علم المناسبات ، فان علم المناسبة هو التعرف على العلاقات بين السور والآيات والروابط المشتركة بينها ، بما يحقق وحدة الموضوع وتكامله وإزالة الإختلاف والتنافر.

وعن أهميته :

فقد قال محمد القاسم في (الإعجاز البياني) : " إن استخراج المناسبات ليس سببا في الترتيب، فإن القرآن هكذا رُتب من رب العزة ولكن البحث فيها باب يتبين فيه وجه من أوجه الإعجاز الثابتة للقرآن ، ومن هنا كان مدارها العقل ، وتفاوتت العقول في استخراج المناسبات "[4]

وقد أنكر عدد قليل من العلماء وجود المناسبة بين الآيات ، ومن هؤلاء الشوكاني والعز بن عبد السلام ، وقد ذكر الزركشي قول العز بن عبد السلام فقال :

---

[1] - ابن فارس ، احمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج٥ ، ص ٤٢٣
[2] - ابن منظور ، جمال الدين بن مكرم ، لسان العرب ، ج١ ، ص (٧٥٥-٧٥٦)
[3] - البقاعي ، إبراهيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ط١ ، قطر : وزارة الأوقاف ، ج١،ص٥
[4] - القاسم ، محمد ، الإعجاز البياني في ترتيب آيات القران الكريم وسوره ،القاهرة ،١٩٧٩م ،ص ١٨٥

" وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن إرتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه إرتباط أحدهما بالآخر.

قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة و متخالفة ومتضادة وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع إختلافها في نفسها وإختلاف أوقاتها"[١]

ويقول الشوكاني :

" اعلم أن كثيرا من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف ، وخاضوا في بحر لم يتكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصحف ، فجاؤوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف" [٢]

وأشيرُ هنا إلى أن ما دعا هؤلاء العلماء إلى إنكار المناسبات قولهم إن في هذا العلم تكلفاً[٣] ولكن جمهورهم على جواز البحث عنها ، إذ لهذا العلم شرف عظيم .

إلا أن الزركشي نجده يقول بالمناسبة بين السور بناءً على ترجيحه للترتيب التوقيفي للسور، فيقول : " وهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي ..وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى ..."[٤]

---

[1] ـ الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القران ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ج١ ص ٣٦

[2] ـ الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (١٢٥٠هـ) ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون طبعة وتاريخ ، ج١ ، ص٧٢

[3] ـ المجالي ، د.. محمد خازر ، الوجيز في علوم القران ،منشورات جمعية المحافظة على القران الكريم ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٤، ص٢٠١

[4] ـ الزركشي ، محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القران ، ج١ ، ص ٣٨

وبناءً على ما سبق يمكننا القول إن الترتيب التوقيفي للسور يدعونا إلى التدبر والتأمل والبحث عن أسرار هذا الترتيب ، ذلك أن في الترتيب وجهاً من وجوه الإعجاز لهذا القرآن العظيم ، ولا مانع من البحث عن هذا لكن دون تكلف أو تعصب حتى نصل إلى هداية القرآن المنشودة .

أما عن المنهج المتبع في المناسبات القرآنية :

فيرى الباحث علي عبد الله علان أن للمناسبات بين الآيات القرآنية منهجاً له قواعد يستخرج بها المناسبة ويصيغها وهذه القواعد باختصار [١] :

أ- مقاصد السورة القرآنية

وهو الهدف والغاية الملحوظة في آيات الموضوع القرآني – في لفظها ومعناها – فهو المحصول منه ، وما ترمي إليه الآيات القرآنية شرح وتفصيل له ، أو تعليل وإثبات له ليتحقق عند المخاطبين به .

ويرى أنه "من هنا كان ترتيبُ آياتِ الموضوع القرآنيِّ مبنياً على المقاصد المرادة من القرآن ...وأن سر ترتيب تلك الآيات وتناسقها واستخراج مناسباتها هو معرفة مقاصد آيات الموضوع القرآني"[٢]

ب- محور السورة القرآنية

وهو أمر كلي عام تتعانق حوله مواضيع السورة وتنشد إليه " [٣]

ج- متعلقات الآيات القرآنية

وقصد بها علوم القرآن اللازمة للمفسر ، كأسباب النزول ووجوه القراءات

د- الروابط

وقد قسّم الروابط إلى قسمين :

- آيات مكملة لما قبلها لتعلق الكلام بعضه ببعض

---

[1] - علان ، علي عبد الله ، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية بعنوان :منهج مناسبات الآيات القرآنية وتطبيقه على سورة الإسراء، إشراف د.فضل عباس ، سنة١٩٩٩ ، ص٤٠ بتصرف و اختصار
[2] - علان ، علي ، منهج مناسبات الآيات القرآنية ، ص٥٢ بتصرف بسيط
[3] - علان ، علي ، منهج مناسبات الآيات القرآنية ، ص٦٠

- آيات مستقلة عن الآيات السابقة عليها ، وهذه قد تكون معطوفة على ما قبلها أو غير معطوفة

فوجه علاقة المناسبات بالتفسير الموضوعي أن " للمناسبة بين الآيات بعداً في التفسير ، فوقوف المفسر على المناسبات بين الآيات يفتح أمامه حقائق ومعاني ولطائف وإشارات جديدة "[١]

ولعل تلك الحقائق والمعاني هي ما يريده الباحث في التفسير الموضوعي ويهدف إليه .

رابعاً : المنهجية المقترحة في البحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

وعلى ضوء ما تقدم فإنني أقترح منهجية خاصة لتناول الوحدة الموضوعية - من خلال الجمع بين آراء العلماء- وهذه المنهجية تقوم على الدعائم التالية :

١- التقديم للسورة بتمهيد يبين (اسم السورة ، مرحلتها ، خصائصها ، مقاصدها ، وما إلى ذلك) مع ربط تلك المعلومات بموضوعات السورة

٢- معرفة وجوه مناسبة السورة للسور التي قبلها والتي بعدها

٣- تقسيم السورة إلى مقاطع يشترك كل مقطع منها بموضوع معين مع ربط مواضيع كل مقطع بموضوع المقطع الذي يليه والذي يسبقه ومن ثم بالموضوع الأساسي للسورة ، ومقاصدها ، دون تكلف ودون أن تُحمّل الآياتُ ما لا تحتمل

٤- معالجة موضوع السورة على أساس ربطها بالواقع المعيش للخروج في النهاية إلى الهدايات والأحكام المنشودة.

وبناءً على ما سبق من بيانٍ لموقف العلماء من تلك القواعد والخطوات ستُقوم الدراسة في المطلب اللاحق من هذا المبحث ببيان رأي صاحب الوسيط في منهجية البحث في الوحدة الموضوعية للسورة ، والمحاور التي تقوم عليها من وجهة نظرة ، مع بيان موقفه من تلك القواعد التي أشرت إليها آنفا .

---

[1] - المرجع السابق ، ص٣٨

المطلب الثاني : منهج التفسير الوسيط في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

أشارت الدراسة في الفصلِ التمهيدي منها إلى منهجية محمد سيد طنطاوي في التفسير كما ذكرها في مقدمة تفسيره، كما أشارت الدراسة إلى أن هذه المنهجية تُشكل المعالمَ العامة لمنهجهِ في التفسير ، ثم بيّنت منهجيته الخاصة في التفسير.

وستعرض الدراسة في هذا المطلب لمنهجية الشيخ طنطاوي في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ، مع مناقشةِ تلك القواعد بناءً على ما تقررَ فيما سبق من بيانٍ للقواعدِ المتبعة في الوحدةِ الموضوعية للسورةِ القرآنية .

أمّا عن هذه المعالم التي اتبعها الشيخ طنطاوي في بيان وحدة السورة الموضوعية فإنني أجدها تقوم على ما يأتي :

١- كان يضع مقدمة قبل البدء بالسورة بمثابة التمهيد يعرض فيه لما يلي :

- مكية السورة أو مدنيتها ، ولترتيبها في النزول ، بحسبِ ما يرى ، وقد أشرنا في المطلب السابق إلى الخلاف الذي يدور بين العلماء في ذلك .

- أسماء السورة وسبب تسميتها معتمداً في ذلك على أقوال المفسرين وموضوعات السورة .

- أسبابُ النزول إن وجدت .

- ثم يتحدثُ عن معالم السورة ،ووحدتها الموضوعية ببيان الموضوع الذي تقوم عليه السورة.

٢- تقسيمُ آياتُ السورةِ إلى مقاطع وبيان موضوع هذا المقطع مع ذكر وجه مناسبته للمقطع السابق واللاحق.

٣- ربط موضوعات السورة بالواقع المعيش والتاريخ الصحيح.

وستعرضُ الباحثةُ في الفصل الثاني من هذه الدراسة بعضَ النماذجِ حولَ منهج الشيخ – رحمه الله – في تناول الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية والموضوع القرآني ، لكن يقتضي المقام هنا أن أعرضَ لبعضِ ملامح منهج الشيخ في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية على وجهِ العموم .

أولاً : التمهيد للسورة

أشارت الدراسةُ عند الحديث عن المنهجيةِ المقترحةِ في وحدةِ السورةِ الموضوعية ، أن يُقدّمَ المفسرُ لتمهيدٍ يبينُ فيه : اسم السورة ، ومرحلتها , وخصائِصُها ، ومقاصِدُها

والقارئُ في التفسيرِ الوسيطِ يجدُ أنَّ الشيخ محمد سيد طنطاوي لم يعرض سورة إلا وقد قدّم لها بهذا التمهيد ، هذا التمهيد قد يكون في حدود الصفحة أو أقل ، وقد يكون طويلا يضم عدة صفحات ، وذلك تبعا لحجم السورة ، لذلك فإن هذا التمهيد يمكنُ أن نضعهُ من القواعدِ المطّردة لدى الشيخ في تفسيره ، وسأعرض هنا لمثالين باختصار :

- المثال الأول : في سورة القلم اشتمل التمهيدُ على العناصرِ المذكورةِ سابقاً وهي :

- اسم السورة ومرحلتها ، يقول طنطاوي :

" سورة (ن) أو(القلم) تعتبر من أوائلِ السورِ القرآنية ، التي نزلت على النبي – صلى الله عليه وسلم– .." ثم يذكر طنطاوي أقوال المفسرين في مكيةِ السورة ، ثم نجدهُ يعرضُ رأيهُ في المسألة ، فيقول : " والذي تطمئنُ إليه النفسُ ، أنّ سورةَ (ن) من السورِ المكيةِ الخالصةِ ، لأنه لم يقم دليلٌ مقنعٌ على أنّ فيها آياتٌ مدنية بجانب أنّ إسلوبَها وموضوعَاتِها تشيرُ إلى أنها من السورِ المكيةِ الخالصة .

وكذلك نميلُ إلى أن بعضَ آياتها قد نزلت على النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد أن جهرَ بدعوته.. وقد فصّل هذا المعنى بعضُ العلماءِ فقال ما ملخصه : لا يمكنُ تحديدَ التاريخ الذي نزلت فيه السورة سواء مطلعها أو جملتها "[١]

ثم أشار طنطاوي إلى الروايات التي تُبينُ مرحلة السورة ، والجميلُ في ذلك أنه رجّح مرحلة السورة بناءً على موضوعِها فقال :

" والروايات التي تقولُ أنها السورة الثانية في النزول بعد سورة العلق كثيرة ، ولكن سياق السورة وموضوعها وأسلوبها يجعلنا نرجّحُ غيرَ هذا حتى لا يكاد يتعينُ أنها نزلت بعد فترة من الدعوةِ العامةِ التي جاءت بعد نحوِ ثلاثِ سنوات من الدعوةِ الفردية في الوقت الذي أخذت فيه قريشُ تدفعُ هذه الدعوة وتحاربها وتصف الرسول – صلى الله عليه وسلم – بما هو بريءٌ منه "[٢]

---

[1] - التفسير الوسيط ، ج١٥، ص٣٣
[2] - التفسير الوسيط، ج١٥ ،ص ٣٤

ثم أشار إلى أن هناك روايات تبينُ مدنية بعض الآيات في السورة وقد ردَّ على هذهِ الروايات [١].

- المثال الثاني : في سورة البينة

اشتملُ التمهيدُ في هذهِ السورةِ على العناصرِ السابقةِ الذكر ، فذكرَ المفسرُ أسماء السورة ومرحلتها، فقال :

" سورةُ البيّنة وتسمى أيضاً سورةُ لم يكن ، وسورةُ المنفكين ، وسورةُ القيّمة ، وسورةُ البريّة "[٢]

ثم ذكرَ مرحلة السورة ، فقال :

" وقد اختلف المفسرون في كونِها مدنية أو مكية وقد لخص الإمام الآلوسي هذا الخلاف – وذكر ما قاله المفسرون – وقد رجّحَ الآلوسي كونُها مدنية فقال :" وهذا هو الأصح " [٣] . ثم قامَ محمد طنطاوي بتأييد ما ذكره الآلوسي فقال : " وهذا الذي رجّحه الآلوسي هو الذي نميلُ إليه ، لأنَّ حديثها عن أهلِ الكتابِ وعن تفرقهم في شأنِ دينهم يُرجّحُ أنّها مدنية "[٤]

وبيانُ مرحلةِ السورةِ من القواعدِ المطّردةِ لدى طنطاوي في تمهيدهِ لتفسيرِ السور ، والتي نجدُها في أغلبِ تلكَ السور، ذلك أن القارئ نادراً ما يجدُ عدمَ إشارة الشيخ لمرحلةِ السورة ، والمُلاحظ هنا أن بيان الشيخ لمرحلةِ السورةِ مقترنٌ بمكيةِ السورةِ أو مدنيتها .

ثانياً : بيان ترتيب السور حسب النزول

وقد بيّنتُ فيما سبق الخلاف الذي دارَ بينَ العلماءِ في ترتيبِ السورِ، ومن ثم للمناسبةِ بينها، والقارئُ في التفسيرِ الوسيطِ يجدُ إهتمامَ الشيخ بالترتيبِ النزوليِّ لسورِ القرآن فلا تخلو سورة من سورِ القرآن إلا ويذكر في تمهيدهِ لها ترتيبَ نزولِ هذهِ السورة .

والأمثلةُ على ذلك كثيرة ، منها :

- المثال الأول : في سورة النساء يقول :

---

[1] - التفسير الوسيط ، ج١٥ ، ص٣٥
[2] - التفسير الوسيط ، ج١٥ ، ص ٤٦٧
[3] - الآلوسي ،شهاب الدين بن محمد،روح المعاني،ج١٥، ص ٤٢٤
[4] - الآلوسي ، شهاب الدين ، روح المعاني ، ج١٥ ، ص ٤٦٧

" وكان نزولها بعدَ سورةِ الممتحنة ويؤيد أنها مدنية ما رواهُ البخاري عن عائشة – رضي الله عنها- قالت : ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم "[١] ، ووجه استدلاله بهذا الحديث قوله : " ومن المتفق عليه عند العلماء أن دخوله على عائشة – رضي الله عنها – كان بعد الهجرة "[٢].

- المثال الثاني : في سورة هود يقول الشيخ محمد طنطاوي :

" أما ترتيبها في النزول ، فهي السورة الثانية والخمسون ، وكان نزولها بعد سورة يونس "[٣]

- المثال الثالث : في سورة يوسف يقول :

" أما ترتيبها في النزول ، فكانت السورة الثالثة والخمسين ، وكان نزولها بعد سورة هود عليه السلام"[٤]

- المثال الرابع : في سورة النحل يقول :

" أما في ترتيب النزول ، فكان ترتيبها التاسعة والستين ، وكان نزولها بعد سورة الكهف "[٥]

وعليه فإننا نجدُ أن الترتيبَ النزولي والمصحفي لسورِ القرآنِ الكريم كانَ من القواعدِ المطّردةِ التي كان يذكرها في كلِ سورةٍ وقد مثّلتُ لهذا لسور مختارة ، وأشير إلى أن هذه القاعدة لا تخلو سورة من سورِ القرآنِ إلا وقد بيّنها الشّيخ طنطاوي في تفسيره (التفسير الوسيط) . وأُشير هنا إلى أن بيان طنطاوي للترتيب النزولي كان كمعلوماتٍ عامةٍ يُقدّمُها في تمهيدِهِ للسور ، وأنه قد فسّر سورَ القرآن بناءً على الترتيبِ المصحفي .

ثالثاً : المناسبات بين السور

إن القارئ في التفسيرِ الوسيط يلحظُ عناية المفسرُ ببيانِ المناسبة بين كل سورة وما يليها وما يسبقها كلما وجد ذلك ، والأمثلةُ على ذلك كثيرةٌ نذكرُ منها :

- المثال الأول : في سورةِ البقرة نجدهُ يقول :

---

[1] - التفسير الوسيط ، ج٣ ، ص ٧
[2] - التفسير الوسيط ، ج٣ ، ص ٧
[3] - التفسير الوسيط ، ج٧ ، ص ١٤٧
[4] - التفسير الوسيط ، ج٧، ص٢٩٩
[5] - التفسير الوسيط ، ج٨ ، ص ٩١

" هناك مناسبةٌ ظاهرة بين السورتين- الفاتحة والبقرة - ، لأن سورة الفاتحة قد اشتملت على أحكامِ الألوهية والعبودية وطلبُ الهدايةِ إلى الصراطِ المستقيم اشتمالاً إجمالياً ، فجاءت سورةُ البقرة ففصّلت تلكَ المقاصد ، ووضّحت ما اشتملت عليه سورة الفاتحة من هداياتٍ وتوجيهات "[1]

- المثال الثاني : في سورة النساء يقول :

" ومن وجوهِ المناسبة بين هذه السورة وبين سورةِ آلِ عمران التي قبلها : أن سورة آل عمران أُختتمت بالأمرِ بالتقوى في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون) وسورة النساء أُفتتحت بالأمرِ بالتقوى ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)"[2]

ثم نقلَ قولُ الآلوسي بأن ذلك من آكدَّ وجوهِ المناسباتِ في ترتيبِ السورِ ... ثم ذكرَ وجوهاً أُخرى من وجوهِ المناسبات ، فقال " ومنها أن في سورةِ آل عمران تفصيلاً لغزوةِ أُحد ، وفي سورةِ النساءِ حديثٍ موجزٍ عنها في قوله تعالى (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا) ومنها أن في كلتا السورتين محاجةٌ لأهلِ الكتابِ ، وبياناً لأحوالِ المنافقين ، وتفصيلاً لأحكامِ القتال "[3]

- المثال الثالث : في سورةِ هود نجدُ الشيخَ ارتضى رأي الآلوسي ولم يعُقب عليه في مناسبةِ السورةِ ، يقولُ الشيخ في ذلك :

" مناسبتها لسورةِ يونس –عليه السلام – قال الآلوسي – رحمه الله - : ووجهُ اتصالها بسورةِ يونس ، أنه ذكرَ في سورةِ يونس قصة نوح – عليه السلام – مُختصرةً ومجملة ، فشرحت في هذه السورة وبسطت فيها ما لم تبسط في غيرها من السور ...ثم إن مطلعها شديدُ الإرتباطِ بمطلعِ تلك ، فإن قوله – تعالى- هنا (آلر كتاب أحكمت آياته) نظيرَ قوله – سبحانه – هناك (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ...) بل بين مطلع هذه وختام تلك شدةَ إرتباط – أيضا- حيثُ خُتمت بنفي الشرك ، وإتباع الوحي ، وافتتحت هذه ببيانِ الوحي والتحذير من الشرك "[4]

- المثال الرابع : في سورةِ الإسراء نجدُ الشّيخَ ارتضى ما ذكرهُ أبو حيان في وجه مناسبة سورة الإسراء لسورةِ النحلِ التي تسبقُها في ترتيبِ المصحفِ ، فيقول :

---

[1] - التفسير الوسيط ، ج١ ، ص ٢٧
[2] - التفسير الوسيط ، ج٣ ، ص٨
[3] - التفسير الوسيط ، ج٣ ، ص ٨ ، وانظر :الالوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني،ج٢،ص٣٨٩
[4] - التفسير الوسيط ، ج٧ , ص ١٤٨ ، وانظر : الالوسي ، شهاب الدين محمود، ج٦،ص ١٨٩

" ومن وجوهِ مُناسبةِ هذه السورةِ لما قبلها ، ما ذكرهُ أبو حيان بقوله : ومناسبةُ هذه لما قبلها ، أنه – تعالى- لما أمره في أخرِ النحلِ بالصبرِ ، ونهاهُ عن الحزنِ عليهم ، وعن أن يضيقَ صدرهُ من مكرهم ، وكان من مكرهم نسبته إلى الكذبِ والسحرِ والشعرِ ، وغيرُ ذلكَ مما رَمَوهُ به ، أعقب – تعالى – ذلك بذكرِ شرفِهِ وفضلِهِ واحتفائِهِ بهِ ، وعلوِ منزلتِه عندَه "[1]

أما ذكرُ المناسبة بين السورِ فكان الشيخ طنطاوي لا يذكرُها في سورِ القرآن جميعاً ، فأحياناً يذكرُ وجوهَ المناسبةِ بينَ السورِ، وأحياناً أُخرى لا يذكرُ تلكَ المناسبات ، لذلك فإنَّ هذهِ القاعدة يمكنُ أن نعدّها ضمنَ القواعدِ غير المطردة في وحدةِ السورةِ الموضوعيةِ لدى الشّيخ .

أمّا المناسبة بين الآياتِ في السورة فقد عُني الشّيخ طنطاوي ببيانِها ، وهذا ما نَجِدهُ جلياً لدى الشّيخ عند تقديمهِ للمقاطعِ في السورةِ القرآنية ، وتعتبرُ تلكَ القاعدةُ من القواعدِ المطردة لدى الشّيخ في وحدةِ السورةِ الموضوعية ، كما ولها اتصال كبير بقاعدةٍ أساسية هي تقسيمُ السورةَ إلى مقاطعَ وبيان وجه المناسبة بينَ تلك المقاطع ، ذلك أن من منهجيةِ البحثِ في التفسيرِ الموضوعي في السورة القرآنية تقسيم السورة إلى مقاطع .

وأذكرُ هنا على سبيلِ المثالِ لا الحصر لتلك المناسبات بين الآياتِ في السورةِ القرآنية ، ثم فيما بعد سأعرضُ لموقف محمد طنطاوي من المقاطع في السورةِ القرآنية :

- <u>في سورة البقرة</u>

المناسبة بين المقطع الذي يضم الآيات (١-٥) قال تعالى :

" الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ (٥) "

والمقطع الذي يضم الآيات (٦-٧) وهي قوله تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)"

يقول طنطاوي- بشأن المقطع الأول - :

---

[1] - التفسير الوسيط ، ج ٨ ، ص ٢٧٣ ، وانظر : أبو حيان ، محمد بن يوسف،البحر المحيط، ج٧، ص٧

" وإلى هنا تكونُ الآيات الكريمة قد مدحت القرآن الكريم بما يستحقه ، وأثنت على من اهتدوا بهديه ، ووصفتهم بالصفاتِ السامية ، وبشرتهم بالبشاراتِ الكريمة " ثم يتناول مناسبة هذا المقطع للذي يليه فيقول : " وبعد أن انتهى القرآن من بيان شأن الكتاب وأثره في الهداية والإرشاد ، وتصوير حال المتقين الذين اهتدوا به ، وما اكتسبوه بالهداية من أوصاف سامية ، وما كان لهم على ذلك من خير العاقبة وحسن الجزاء ، أقول بعد أن انتهى من بيان كل ذلك شرع في بيان حال الكافرين ، وما هم عليه من سوء الحال وقبيح الأوصاف "[١]

- في سورة النساء

المناسبة بين المقطع وفيه الآيتان (٩٥-٩٦) وهي قوله تعالى :

" لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٩٦) "

والمقطع الذي يليه وفيه الآيات (٩٧-١٠٠) وهي قوله تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً (٩٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (١٠٠)

يقول طنطاوي : " وبعد أن رفع - سبحانه - من شأن المجاهدين ، وبين حال القاعدين عن الجهاد بعذر أو بغير عذر ، أتبع ذلك ببيان حال القاعدين في دار الكفر بدون هجرة إلى دار الإسلام، ووعد المهاجرين في سبيل الله بحسن العاقبة "[٢]

- سورة هود عليه السلام

---

[1] - التفسير الوسيط ، ج١ ، ص ٤٨
[2] - التفسير الوسيط ، ج٣ ، ص ٢٧٣

المقطع الذي يضم الآيتين (١٥-١٦) وهو قوله تعالى :

" مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)"

وآيات المقطع الذي يليه وهي الآية ١٧ وقوله تعالى :

" أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (١٧) "

يقول طنطاوي : " وبعد أن بين - سبحانه - حال الذين يريدون الحياة الدنيا وزينتها ، أتبع ذلك بيان حال الذين يريدون الحق والصواب فيما يفعلون ويتركون "[1]

- في سورة المائدة

بين آيات المقطع (٦٥-٦٦) وهي قوله تعالى :

" وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦)

وآيات المقطع الذي يليه وهي الآية ٦٧ وقوله تعالى :

" يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) "

يقول طنطاوي في وجه مناسبة آيات المقطعين :" وبعد أن حكى الله - تعالى - في الآيات السابقة ما كان عليه أعداء الإسلام - وخصوصاً اليهود - من محاولات لفتنة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن دسائس حاكوها لعرقلة سير الدعوة الإسلامية ، ومن استهزاء بتعاليم الإسلام ومن حقد على المؤمنين لإيمانهم برسل الله وكتبه ومن سوء أدب مع خالقهم ورازقهم . بعد أن حكى - سبحانه- كل ذلك ، أتبعه بتوجيه نداء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أمره فيه بأن يمضي في تبليغ

[1] - التفسير الوسيط ، ج٧،ص١٧٨

رسالته إلى الناس دون أن يلتفت إلى مكر الماكرين ، أو حقد الحاقدين . فإنه - سبحانه - قد حماه وعصمه منهم " [١]

وسأعرض الآن لبقية تلك القواعد التي ذكرتها في المنهجية المقترحة والتمثيل عليها من التفسير الوسيط :

رابعاً : مقاصد السورة

إن بيان مقاصد السورة من القواعد المطردة في التفسير الوسيط ، وقد أشار الشيخ إليها في كل سورة من سور القران ، وهذه القاعدة تُعد من القواعد الأساسية في وحدة السورة الموضوعية.

- ففي سورة القلم نجد طنطاوي يقول :

" والذي يتدبر هذه السورة الكريمة يراها قد اشتملت على مقاصد من أبرزها :

تحدي المشركين بهذا القران والثناء على النبي – صلى الله عليه وسلم- بأفضل أنواع الثناء " مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ...الآيات

والتسلية الجميلة له – صلى الله عليه وسلم – عما أصابه من أعوانه " فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ...الآيات " ونهي النبي – صلى الله عليه وسلم – عن مهادنة المشركين أو ملاينته أو موافقته على اقتراحاتهم الماكرة " وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ...الآيات

والمقارنة بين عاقبة الأخيار والأشرار ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة

تسفيه أفكار المشركين وعقولهم باسلوب مؤثر خلاب " أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ....الآيات، وتهديدهم بأقصى ألوان التهديد "[٢]

- وفي سورة البينة يذكر الشيخ مقاصد السورة فيقول :

" ومن أهم المقاصد التي اشتملت عليها السورة الكريمة :

توبيخ أهل الكتاب والمشركين على إصرارهم على ضلالِهم بعد أن تبين لهم الحق ، والتعجيبُ من تناقضِ أحوالِهم ، وبيان أن كفرهم لم يكن بسبب جهلهم ، وإنما بسبب جحودهم وعنادهم وحسدهم

[1] - التفسير الوسيط ، ج٤ ،ص٢٢٠
[2] - التفسير الوسيط ، ج ١٥ص٣٥

للنبي – صلى الله عليه وسلم – على ما آتاه الله من فضله ، والتسجيل عليهم بأنهم شر البرية ، وأن المؤمنين هم خير البرية "[1]

وأُشيرُ هنا إلى أن بيان مقاصد السورة يفتح المجال لمعرفة موضوع السورة العام ، وهذا يتجلى للقارئ في التفسير الوسيط ، فاهتمام طنطاوي ببيان مقاصد السورة له دلالة واضحة على اهتمامه بوحدةِ السورةِ الموضوعية ، فمقاصد السورة تمثل الموضوعات الفرعية في السورة والمقصد منها ، ومنها ينطلق المفسر لمعرفة موضوع السورة العام ، وسأقوم بعرض نموذج على هذه القاعدة في مكانه في الفصل الثاني من الدراسة بإذن الله تعالى .

خامساً : تقسيم السورة إلى مقاطع

وهذه القاعدة من القواعد الأساسية في وحدة السورة الموضوعية التي اتفق عليها العلماءُ الباحثون فيها والتي نراها مطبّقة في كثيرٍ من كتبِ التفسير، خاصة في السور الطويلة ، وإحدى المعالم البارزة التي تميز بها التفسير الوسيط ، وتقوم على تقسيم السورة القرآنية إلى مقاطع تشمل مجموعة من الآيات تُمثل كل منها وحدة موضوعية فرعية ، وتتجمع هذه الوحدات لتشكيل الوحدة الموضوعية الكلية للسورة ، وستبين الدراسة في الفصل الثاني نماذج لهذه القاعدة بالتفصيل ، من حيث بيان موضوع المقطع ، ومناسبته للمقطع الذي يسبقه ، ودراسته بما يخدم الواقع المعيش مع استخلاص الهدايات المنشودة والأحكام والآداب ، ثم تشكيل موضوع عام للسورة القرآنية بناء على تجميع تلك المقاطع وربطها ببعضها مما يشكل في النهاية وحدة موضوعية للسورة القرآنية ينطلق منها الباحث لدراسة الموضوع القرآني .

وقد عرضت فيما سبق عند الحديث عن المناسبات بين الآيات في السورة لأمثلة من هذه المقاطع ، لصلة الارتباط بين القاعدتين : المقاطع القرآنية والمناسبات بينها

وعلى ضوء ما تقدم أقول أن الشيخ محمد طنطاوي – رحمه الله – قد برزت لديه ملامح الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية وبالتالي لاتجاه التفسير الموضوعي في أحد جزئيه لمن رأى أنَ التفسير الموضوعي لونان والوحدة الموضوعية احدهما ، وكذلك تُعتبر إحدى خطوات التفسير الموضوعي لمن عدّ التفسير الموضوعي مقتصرا على الموضوع القرآني ، وذلك بناء على القواعد المنهجية التي اتفق على ذكرها أغلب العلماء ، والمنهجية المقترحة التي وضعتها الدراسة ، إضافة للمنهجية العامة التي تميز بها المفسر في التفسير .

[1] - التفسير الوسيط ، ج ١٥ ، ص ٤٦٨

المبحث الثاني : الموضوع القرآني ومنهج المؤلف في تناوله

بينت الدراسة في الفصل التمهيدي أن الموضوع القرآني هو اللون البارز من ألوان التفسير الموضوعي ، بل عدّه الكثير من العلماء أنه المقصود عند إطلاق التفسير الموضوعي .

ولأهمية ذلك فإنني خصصت هذا المبحث لدراسة الموضوع القرآني وبيان منهجية البحث فيه ، والركائز التي يقوم عليها ، ثم تناولت منهج صاحب الوسيط في عرض الموضوع القرآني .

ولابد من إشارة هنا إلى أن كتب التفسير الموضوعي عندما تذكر هذا اللون فإنها أحيانا تسميه الوحدة الموضوعية للقرآن[1] ، وأحيانا تسميه الموضوع القرآني[2] .

وقد اقتضى هذا المبحث أن يشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : منهجية البحث في الموضوع القرآني .

المطلب الثاني : منهج التفسير الوسيط في تناول الموضوع القرآني .

[1] - وهم : حجازي ،د. محمد ، الوحدة الموضوعية في القران الكريم ، ص ٥٠ ، و سعيد ، د. عبد الستار ,المدخل إلى التفسير الموضوعي ، ص٢٤ ، و العمري ، د. احمد ، التفسير الموضوعي للقصص القرآني ، ص ٤٧

[2] - وهم : الكومي ، د. احمد ، التفسير الموضوعي للقران ، ص ٢٣ ، و الفرماوي . عبد الحي ،البداية في التفسير الموضوعي ، ص ٥٨، وعباس ، د. فضل حسن ،التفسير أساسياته واتجاهاته ، ص ٦٤٧ ، و مسلم ، د. مصطفى ،مباحث في التفسير الموضوعي ، ص٢٣ ، والدغامين ، د. زياد ، منهجية البحث في التفسير الموضوعي ، ص١٥، والخالدي ، د. صلاح ، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، ص ٥٩

المطلب الأول : منهجية البحث في الموضوع القرآني

عرفنا من قبل أهمية التفسير الموضوعي ومدى حاجة العصر إلى هذا النوع من التفسير ، لذلك فقد اتجهت الدراسات والبحوث الجامعية لدراسة هذا النوع من التفسير ، فنجد الآن المكتبة الإسلامية تزخر بالعديد من المواضيع القرآنية ، التي بحثها العلماء وواصل الباحثون متابعتها بين رد ، وقبول ، ومزيد بيان وعلى كثرة هذه المواضيع التي لا تنتهي فما زالت الأمة بحاجة إلى المزيد من تلك البحوث والدراسات ولعل هذا ينبع من إعجاز القران الذي لا تنتهي علومه ولا يخلق على كثرة الرد .

يقول الدكتور الكومي :

" وإن تعجب فعجبٌ عرض القران للموضوع الواحد ذي المعنى المتحد والهدف المشترك ، فإنك تجده مع تفرقه في القران الكريم في أماكن عدة ، ومع تباعد أوقات نزوله وتباعد أزمان وصوله، ليس بين آياته مفارقة ولا تلفيق ، صورة واحدة في أحسن تقويم مترابطة الأجزاء ، متكاملة البناء،جيدة السبك ، قوية المعنى ، متينة النظم ، لا تناكر بين معانيها في العقول والأفهام ، ولا تباين بين مبانيها في الأسماع والآذان ، بل يكمل بعضها بعضا ويأخذ بعضها بحجر بعض " [١]

أما عن المنهجية المتبعة في تناول الموضوع القرآني فيرى الدكتور عبد الحي الفرماوي [٢] أن أول من وضع منهجاً محدداً واضحَ المعالم لهذا النوع من التفسير هو الدكتور احمد الكومي .

وهذا المنهج يقوم على ما يلي بحسب ما يرى الأستاذ الكومي [٣] :

١- اختيار الموضوع القرآني المراد دراسته

٢- حصر الآيات التي تدور حول هذا الموضوع وجمعها

٣- ترتيب الآيات حسب نزولها مع الوقوف على أسباب نزولها

٤- معرفة مناسبة الآيات

٥- تكوين الموضوع بشكل تام ومتناسق

---

[1] - الكومي ، د. احمد السيد ، التفسير الموضوعي للقران الكريم ، ص٣٤

[2] - الفرماوي ، د. عبد الحي ، البداية في التفسير الموضوعي ، ص ٦١

[3] - الكومي ، د. احمد ، التفسير الموضوعي للقران الكريم ، ص٢٠

٦- تكميل الموضوع بما ورد من أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى يزداد وضوحا وبيانا

٧- دراسة هذه الآيات دراسة موضوعية متكاملة .

وبعد استقرائي لمعظم من كتب بعد الكومي وجدتُ أنهم لم يخرجوا عن تلك النقاط السابقة إلا بمزيد تفصيل وشرح وإيضاح ، وآخرون توسعوا في العرض فوضعوا نقاطاً عامة تكاد تمثل المنهجية العلمية للبحوث في الدراسات الإسلامية .[١]

بناء على ما سبق واعتماداً على القواعد التي وضعها العلماء في البحث في الوحدة الموضوعية للقران الكريم . فإنني أرتضي ما اختاره د جهاد النصيرات من خطوات فعلية للمنهجية المقترحة في البحث في الموضوع القرآني واختلف معه في الخطوة الأولى ، وعليه فإن هذه الخطوات تتكون من ثلاث مراحل هي [٢]:

١- مرحلة الجمع ، وتشمل :

أ- جمع المفردات الأساسية والقريبة من موضوع الدراسة

ب- جمع المعاني اللغوية والاصطلاحية لتلك المفردات من خلال تتبع جذورها مع جمع ما يتعلق بذلك من صلاتٍ بين المعاني اللغوية والاصطلاحية من ناحية ، ثم ما يتعلق بالصلات والعلائق بين تلك المفردات .

---

[1] - ينظر : الفرماوي ، د. عبد الحي ، البداية في التفسير الموضوعي ، ص٦٣ ، وحجازي ،د. محمد ، الوحدة الموضوعية في القران الكريم ، ص٣١ ، ومسلم ، د. مصطفى ، مباحث في التفسير الموضوعي ، ص ٣٧ ، الخالدي ، د. صلاح ، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ، ص ٨١، عباس ، د. فضل ، التفسير أساسياته واتجاهاته ، ص٦٥٠ ، والعمري ، د.احمد ، دراسات في التفسير الموضوعي ، ص٧٣-٧٥ ، والدغامين ، د.زياد ، التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه ، ص٣٥ ، والقضاة ، د. احمد ،دراسات في علوم القران والتفسير ،ص٢٦٨

[2] - النصيرات ، د. جهاد ، إشكالية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية ، ص٣٥ بتصرف ، وقد عدّ د. جهاد المرحلة الأولى هي مرحلة التحضير ، وتشمل تحديد الموضوع وضبط عنوان البحث ، وبيان الأسباب التي دعته لاختياره وهدفه وأهميته بالإضافة لعرض الدراسات السابقة التي استفاد منها في بحثه ، ولعل هذه المرحلة في ظني تشبه مرحلة إعداد الخطة لأي بحث ودراسة .
وبناء على ذلك فإنني أرى أنه لا داعي لاعتبار الخطوة الأولى في البحث في الموضوع القرآني قائمة على اختيار الموضوع والأسباب والدوافع لاختياره ، لأن هذه المهمة سابقة لمنهجية البحث وتُوضع الآن في الدراسات العلمية المؤصلة ضمن المقدمة التي يُعدها الباحث ، ذلك أن الباحث هنا لم يكن قد شرع في الموضوع القرآني بعد ، بالإضافة إلى أن هذه الخطوة والمرحلة ليست خاصة بالموضوع القرآني بل تشمل أي بحث علمي في شتى التخصصات ، وهذا يقودنا إلى اعتبار هذه الخطوة خارجة عن منهجية البحث الخاصة بالموضوع القرآني .

ج- جمع الآيات التي وردت فيها تلك المفردات والمفاهيم قيد البحث وجدولة مواطن ورودها وفق آلية محددة تُظهر ورودها وصيغها التي جاءت فيها وأسماء السور التي ذكرتها ومكيها ومدنيها ما أمكن .

ولعل هذه المرحلة تُغطي قسم المصطلح القرآني ، الذي أشرنا من قبل أنه ليس قسماً مستقلاً

٢- مرحلة الترتيب والتبويب :

وهي من أدق المراحل وأشقها ، ذلك أن الباحث عليه أن يُبوب الدراسة إلى فصول ومباحث وفق منهجية مرضية لغالبية المتخصصين ، وقد يكون هذا الترتيب وفق تاريخ النزول أو ترتيب المصحف أو وفق مفردات الموضوع .وهنا تظهر شخصية الباحث في السبر والتقسيم وقدرته على استيعاب موضوعه وطرحه له .

٣- مرحلة التحليل , وتشمل :

أ- جمع مادة التفسير التحليلي لتلك الآيات التي وردت فيها تلك المفردات والمفاهيم ، من خلال كتب التفاسير مُراعيا التاريخ الزمني لتلك التفاسير ، ومُراعيا تنوعها وأن لا يقتصر على المعاني الإجمالية للآيات ، وأن يتضمن الجمع : القراءات المتواترة ، وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من علوم القران .

ب- جمع المعلومات المتعلقة بالسور التي بها تلك الآيات مثل : موضوع تلك السور وظروف تنزلها إن أمكن ، والميزات الفارقة لشخصيتها وحلقاتها وأشواطها ، ذلك أنه يُعين الباحث في فهم موضوعه وإدراك سياق الآيات مدار البحث .وهذه الخطوة من القواعد التي ذكرناها في البحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية .

هذه المنهجية الشاملة تؤكد لنا عدم إستقلال المصطلح القرآني ووحدة السورة الموضوعية عن الموضوع القرآني بل تشكلُ كلٌ منهما كما لاحظنا حلقة وخطوة من خطوات البحث في الموضوع القرآني .

لذلك فإن ميدان التفسير الموضوعي هو الوحدة الموضوعية في القران أو الموضوع القرآني ، وبما أن الدراسة أخذت على عاتقها بيان التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط فإن ميدان الدراسة سيكون الموضوع القرآني ، لذلك فإني سأقوم في المطلب الثاني من هذا الفصل بعرض نماذج من التفسير الوسيط على الموضوع القرآني ، مع الإشارة إلى أن هذا العرض إنما جاء ضمن

تفسير المفسر للقران ، وغايته مناقشة الشيخ في تلك المنهجية المتبعة ، أما الفصل الأخير من هذه الدراسة فإني سأطبق تلك القواعد والمراحل التي عرضتها في البحث في الوحدة الموضوعية في القران على موضوع اعتنى به المفسر وهو إفساد بني إسرائيل في الأرض . مع ملاحظة عناية المفسر بمعالجة هذا الموضوع وكيفية طرحه له بإذن الله تعالى .

المطلب الثاني : منهج التفسير الوسيط في تناول الموضوع القرآني .

إن العناية بالموضوع القرآني يحتل عند الشيخ طنطاوي جزءا كبيرا في منهجه ، ويظهر هذا من أمرين:

١- بعض مؤلفاته التي تُصنف في مكتبة التفسير الموضوعي ، مثل كتاب : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ، وكتاب حديث القرآن والسنة عن الزراعة ، وكتاب العقيدة والأخلاق في القرآن وغيرها من تلك الكتب .

٢- تفسيره الوسيط الذي برزت فيه دراسته بجمع الآيات ذات الموضوع الواحد في بعض الأماكن عندما تمس الحاجة لذلك .

وفي هذا دلالة على أن الشيخ يؤمن بأهمية التفسير الموضوعي في معالجة مشكلات الحياة بما يحقق للأمة سعادتها ويرقى بها إلى السمو المستمد من النبع الإلهي من القران الكريم .

أما تفسيره الوسيط فهو ميدان البحث والدراسة هنا . وسأبدأ بعرض معالم منهج الشيخ في التفسير الوسيط

إن أهم معالم منهج الأستاذ طنطاوي في التفسير الوسيط فيما يتعلق بالموضوع القرآني :

١- توضيح موضوع الآية بجمع الآيات التي تناولت نفس الموضوع مع الاستشهاد بالأحاديث والآثار، وهنا ينطلق المفسر من الآية لبيان الموضوع القرآني .

٢- عرض عدة آيات والجمع بينها للوصول إلى حكم معين أو معنى معين .

٣- عرض الموضوع ثم عرض الآيات في السور التي تناولته .

وسأعرض الآن لنماذج من التفسير الوسيط على سبيل المثال لا الحصر ، تبين تلك النقاط بإذن الله تعالى .

- المثال الأول :

في سورة آل عمران، في الآية ٥٥ " إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ..."

قال الشيخ طنطاوي :

" وللعلماء في تفسير هذه الآية الكريمة أقوال كثيرة أشهرها قولان :

أما القول الأول : وهو قول جمهور العلماء – فيرى أصحابه أن معنى الآية أي قابِضُكَ من الأرض ورافعك إلى السماء بجسدك وروحك لتستوفي حظك من الحياة هناك .

وأصحاب هذا الرأي لا يفسرون التوفي بالموت وإنما يقولون : إن التوفي في اللغة معناه أخذ الشيء تاما ووافيا ..

ثم يذكر طنطاوي رأي القرطبي فيقول " قال القرطبي : قال الحسن وابن جريج : معنى متوفيك قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت ، مثل توفيت مالي من فلان أي قبضته [١]

أما القول الثاني : وهو قول قلة من العلماء – فيرى أصحابه أن معنى الآية أي مميتك ورافع منزلتك وروحك إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي كما ترفع أرواح الأنبياء إليه سبحانه

فأنت ترى أن أصحاب هذا الرأي يُفسرون التوفي بالإماتة ، ويقولون أن هذا التفسير هو الظاهر من معنى التوفي ويفسرون (وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) بمعنى رفع الروح إلى السماء"[٢] .

وبعد أن عرض المفسر للقولين نجده يذكر رأيه مستشهدا بما ورد في ذلك من آيات وأحاديث ، فيقول :

" والذي تسكن إليه النفس هو القول الأول لأمور :

أولها : أن قوله تعالى في سورة النساء " وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (١٥٨)" يفيد أن الرفع كان بجسم عيسى وروحه لان الإضراب مقابل للقتل والصلب الذي أرادوه وزعموا حصوله ولا يصح مقابلا لهما رفعه بالروح لأن الرفع بالروح يجوز أن يجتمع معهما وما دام الرفع بالروح لا يصح مقابلا لهما إذن يكون المتعين أن المقابل لهما هو الرفع بالجسد والروح.

---

[1] - القرطبي، محمد بن احمد، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القران)، تحقيق احمد البردوني وإبراهيم الطفيش،دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤، ج٤ ، ص ١٠٠

[2] - التفسير الوسيط ، ج٢ ، ص ١١٨

ثانيها : أن هناك أحاديث متعددة بلغت في قوتها مبلغ التواتر المعنوي ، قد وردت في شأن نزول عيسى إلى الأرض في أخر الزمان ليملأها عدلا كما ملئت جورا وليكون حاكما بشريعة محمد – صلى الله عليه وسلم – ومن هذه الأحاديث ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : " يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، يقتل الدجال ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، ويفيض المال ، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين"[١]

وظاهر هذا الحديث وما يشابهه من الأحاديث الصحيحة في شأن نزول عيسى ، يفيد أن نزوله يكون بروحه وجسده كما رفعه الله إليه بروحه وجسده .

ثالثاً : أن هذا القول هو قول جمهور العلماء ، وهو القول الذي يتناسب مع ما كرم الله تعالى به عيسى عليه السلام من كرامات ومعجزات " [٢].

ثم عرض ملخصا لأقوال العلماء في موضوع الرفع ومقصوده ، ومن خلال ما سبق نجد أن المفسر طرح موضوع رفع عيسى عليه السلام – بطريقة منهجية دون تكلف ، ذكر في بداية الآية موضوعها قائلا : " ثم حكى سبحانه بعض مظاهر قدرته ورعايته لعبده عيسى عليه السلام وخذلانه لأعدائه ، فقال : " إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ..."[٣]

ثم شرع ببيان أقوال العلماء في معنى الرفع المقصود من الآية ، ونلحظ هنا اقتصاره على رأيين هما أشهر الآراء ، وابتعد عن الآراء الضعيفة والتي فيها إطالة ، فقد قال : " هذا وقد ذكر بعض المفسرين أقوالا أخرى للعلماء في معنى هذه الآية الكريمة نرى من الخير عدم ذكرها لضعفها وخوف الإطالة " [٤]

وقد أحال عليها من كتب التفسير في الحاشية .

ثم ذكر المفسر رأيه مرجحا القول الأول مدعما رأيه بما ورد في معنى الآية من آيات أخرى وهذه ميزة التفسير الموضوعي ، وإحدى قواعده في الموضوع القرآني وهو الجمع بين الآيات

[1] -أخرجه البخاري عن أبي هريرة، كتاب الوحي، باب نزول عيسى بن مريم –عليه السلام-،رقم الحديث ٣٤٤٨،ج٤،ص٢٠٥
وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم- ، رقم الحديث ٤٠٦،ج١، ص ٩٣
[2] - التفسير الوسيط ، ج٢ ،ص ١١٩
[3] - التفسير الوسيط ، ج٢، ص ١٢١
[4] - التفسير الوسيط ، ج٢ ، ص١٢٣

والاستشهاد بالآثار الصحيحة ، وقد اعتمد المفسر على الروايات التي ذكرها ابن كثير، واستشهد بالأحاديث الصحيحة التي وردت في معنى الآية ، ثم استشهد بأقوال جمهور العلماء .

- ومثال أخر من السورة نفسها :

قال تعالى : " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) "

في الآية (١٥٩) " نجدُ أنَّ المفسرَ قد عرض لموضوع الشورى وحكمها ، فقد وضع عنواناً لهذا المقطع المتضمن تلك الآيات ، وموضوعه الرئيسي كما أشار إليه المفسر:

" بيان حال النبي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه من قيادة حكيمة وأخلاق كريمة " [1]

وفي معرض حديثه عن الشورى نجده يقول :

" ولقد تكلم العلماء كلاما طويلا عن حكم المشورة وعن معناها وعن فوائدها فقد قال القرطبي ما ملخصه: والاستشارة مأخوذة من قول العرب : شُرت الدابة وشورتها ، إذا علمت خبرها وحالها يجري أو غيره .. وقد يكون من قولهم : شرت العسل واشترته ، إذا أخذته من موضعه " [2]

ولعل بعضهم يظن هذا من قبيل لون المصطلح القرآني ،ولكن إشارة المفسر إلى أصل الكلمة ومعناها يؤكد لنا أن المصطلح القرآني حلقة من حلقات الموضوع القرآني .

ثم شرع المفسر ببيان المشورة التي أمر الله بها نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يشاور فيه أصحابه فقالت طائفة : " ذلك من مكائد الحروب ، وعند لقاء العدو ، تطييباً لنفوسهم ورفعاً لأقدارهم وإن كان الله تعالى قد أغناه عن رأيهم بوحيه .

وقال آخرون : ذلك فيما لم يأته فيه وحي . فقد قال الحسن : ما أمر الله - تعالى - نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم ، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل وليقتدي به أمته من بعد "[3].

---

[1] - التفسير الوسيط ، ج٢ ،ص ٣١٤
[2] - التفسير الوسيط ، ج٢ ، ص٣١٧
[3] - التفسير الوسيط ، ج٢ ، ص ٣١٧ ، وانظر : القرطبي ، محمد بن احمد ، تفسير القرطبي، ج٤ ، ص ١٣٩

ثم قال : " والشورى من قواعد الشريعة ، وعزائم الأحكام ' والذي لا يستشير أهل العلم والدين – والخبرة – فعزله واجب وهذا لا خلاف فيه "[1].

نجد المفسر هنا بعد أن عرض للمعنى اللغوي والاصطلاحي وبيانه لمكانة الشورى ، وضع حكم الشورى وشروطها ثم نجده بعد ذلك يؤكد هذا المعنى من الآثار الصحيحة ، فيقول :

" وقد استشار النبي – صلى الله عليه وسلم أصحابه في كثير من الأمور ، وقال " والمستشار مؤتمن "[2] وقال " ماندم من استشار ولا خاب من استخار "[3] وقال " ما شقي قط عبد بمشورة وما سعد بإستغناء رأي " [4] .

ثم عاد واتى بكلام من صحيح البخاري ، قال البخاري : " وكانت الأئمة بعد النبي – صلى الله عليه وسلم –يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها " [5]

ثم نقل المفسر رأي الفخر الرازي وغيره فيما يخص الشورى ومتى تكون ، ثم ذكر رأيه بعد استعراضه لكل ما سبق من آثار وأحاديث وأقوال ، فقال [6]" الحق أن الشورى أصل من أصول الحكم في الإسلام ، وقد استشار النبي – صلى الله عليه وسلم – أصحابه في غزوات بدر واحد والأحزاب وفي غير ذلك من الأمور ، التي تتعلق بمصالح المسلمين ، وسار على هذا المنهج السلف الصالح من هذه الأمة .

ولقد كان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يكتب لعماله يأمرهم بالتشاور ويمتثل لهم في كتبه .

---

1 - التفسير الوسيط ، ج ٢ ، ص ٣١٨

2 - أخرجه احمد بن حنبل في مسنده عن أبي مسعود ، رقم الحديث٢٢٤١٤ ، ج٥ ،ص ٢٧٤ ، وابن ماجه في سننه عن أبي هريرة ، كتاب الأدب ، باب المستشار مؤتمن ، رقم الحديث ٣٧٤٥ ،ج ٤ ،ص ٦٨١ ، وابن داوود في سننه عن أبي هريرة ، باب في المشورة ،رقم الحديث ٥١٣٠، ج٤، ص ٤٩٥، وأخرجه الترمذي في سننه عن أبي هريرة ، باب معيشة أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم- رقم الحديث ٢٣٦٩ ،ج ٤ ،ص ٥٨٣

3 - أخرجه الطبراني ، المعجم الأوسط عن مالك بن انس ، رقم الحديث ٦٦٢٧ ،ج٦ ، ص ٣٦٥ ، وأخرجه مالك في الموطأ عن انس مرفوعاً ، باب جامع الحديث ، ج٣ ، ص ٤١١

4 - أبو بكر البيهقي ، احمد بن الحسين، شعب الإيمان ، تحقيق وتخريج د. عبد العلي عبد الحميد ، إشراف مختار احمد الندوي صاحب الدار السلفية بومباي بالهند ، مكتبة الرشد ، الرياض ط٣، ٢٠٠٣ م ، باب الحكم بين الناس ، رقم الحديث ٧١٣٧، ج ١٠ ، ص ٤٢

5 - البخاري ، صحيح البخاري ،باب قول الله تعالى" وأمرهم شورى بينهم " " وشاورهم في الامر " ، ج٢٢ ، ص٣٥٧

6 - الرازي ، فخر الدين ، مفاتيح الغيب ، ج٩، ص ٤٠٩

والحكام العقلاء المنصفون المتحرون للحق والعدل هم الذين يقيمون حكمهم على مبدأ الشورى، ولا يعاديها إلا احد اثنين :

إما رجل قد أصيب بداء الغرور والتعالي ، فهو يتوهم أن قوله هو الحق الذي لا يخالطه باطل... وإما رجل ظالم مستبد مجانب للحق ، فهو ينفذ مايريده بدون مشورة احد لأنه يخشى إن استشار غيره أن يطلع الناس على ظلمه وجوره وفجوره "[1]

هذا ومتى تمت المشورة على أحسن الوجوه وأصلحها واستقرت الأمور على وجه معين ، فعلى العاقل أن يمضي على ما استقر عليه الرأي بدون تردد ولا تخاذل ولذا قال سبحانه " فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"[2] (آل عمران : ١٥٩)

ثم قام المفسر بالربط بين المشورة والتوكل على الله بعد ذلك ، ونلحظ من عرضه لما سبق رجوعه للغة والاصطلاح والاستشهاد بالأحاديث والآثار الصحيحة وبالشعر ثم تعقيبه عليها برأيه واستخلاصه للحكم والهدايات من هذا الموضوع . إلا أنه هنا أهمل خطوة هامة هي جمع الآيات المتحدثة عن الموضوع فلم نجد المفسر قد أشار من قريب أو بعيد للآية الأخرى التي وردت في الشورى وهي قوله تعالى : " وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ "(الشورى :٣٨).وهذه نقطة تؤخذ عليه في تناول المفسر للموضوع القرآني ، ذلك أن موضوع الشورى وهذه اللفظة لم ترد في القران إلا مرة واحدة في سورة الشورى ، ومرة بلفظ الأمر " شاورهم " في سورة آل عمران ، ولا أدرى ما سبب هذا الإهمال ولا نجد له عذراً في ذلك.

- وفي موضوع رعاية اليتيم في سورة النساء والسور التي تناولته

ففي سورة النساء وفي نهاية تفسيره للآيات العشر الأولى من السورة نجد المفسر يذكر لنا موضوع الآيات ويجمع الآيات التي وردت في السور الأخرى لنفس الموضوع ثم يستشهد بالأحاديث النبوية ، فنجده يقول [3]:

" وبعد : فهذه عشر آيات من سورة النساء ، تقرؤها فتراها تكرر الأمر صراحة برعاية اليتيم وبالمحافظة على ماله في خمس آيات منها .

---

[1] ـ التفسير الوسيط ، ج٢ ، ص ٣١٩ باختصار
[2] ـ التفسير الوسيط ، ج٢ ، ص٣٢٠
[3] ـ التفسير الوسيط ، ج٣ ، ص٦١

ففي الآية الثانية تأمر الأولياء والأوصياء وغيرهم بالمحافظة على أموال اليتامى ..فتقول " وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ...الآية

وفي الآية الثالثة تبيح لأولياء النساء واليتامى أن يتزوجوا بغيرهن إذا لم يأمنوا على أنفسهم العدل في أموال اليتامى وحسن معاشرتهن ..فتقول : " وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا....الآية

وفي الآية السادسة تأمر الأولياء بأن يختبروا تصرفات اليتامى وان يسلموا إليهم أموالهم عند بلوغهم وإيناس الرشد ، فتقول : " وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ...الآية

وفي الآية الثامنة تأمر المتقاسمين للتركة أن يجعلوا شيئا منها للمحتاجين من الأقارب واليتامى والمساكين فتقول :" وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى...الآية

وفي الآية العاشرة تتوعد الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما بأشد ألوان الوعيد فتقول " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ...الآية " [1]

ثم نرى المفسر بعد ذلك قد جمع الآيات التي أوردت هذا الموضوع من سور أخرى ، فيقول:

" وقد أمر القران أتباعه في كثير من آياته بالعطف على اليتيم وبحسن معاملته ، والمحافظة على حقوقه ، ومن ذلك قوله تعالى " وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ...الآية (الإسراء : ٣٤)

وقوله تعالى ممتنا على نبيه محمد- صلى الله عليه وسلم – " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى..." (الضحى:٦)

وقوله تعالى : " وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ...الآية (البقرة : ٢٢)

ثم أعقب المفسر ذلك بسيرة النبي – صلى الله عليه وسلم - وحسن معاملته لليتامى، والبشارات التي أعدها الله لمن يكرم اليتيم ويتكفله .

" فقد روى البخاري وغيره عن سهل بن سعد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى"[2]

ثم أشار المفسر إلى عناية الإسلام برعاية اليتيم لصغره وعجزه عن القيام بمصالحه ، وبيّن الآثار السلبية الناتجة عن إهمال اليتيم في الأمة والمجتمع وان هذا قد يكون سببا في شيوع الفاحشة

[1] - التفسير الوسيط ، ج٣ ، ص ٦١
[2] - البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ،كتاب بدء الوحي ، رقم الحديث ٥٣٠٤، ج٧ ، ص ٦٨

ويصبح اليتيم بعدها يرى كل من في مجتمعه عدوا له ذلك أن المجتمع حرمه العناية والعطف منذ أن كان صغيرا .

كان هذا عرضا سريعا لموضوع رعاية اليتيم في القران وأذكر هنا أن المفسر عندما عرض لتلك المواضيع إنما عرضها في معرض تفسيره لآيات القران وليس في معرض إعداد بحث علمي منهجي عن تلك المواضيع ، ومع هذا فقد تسلسل المفسر في عرض مواضيع القران بجمع الآيات والأحاديث الصحيحة وسيرة النبي المصطفى وسيرة السلف الصالح وعرض مشاهد من التاريخ ثم عرض الواقع على هذه النتائج والهدايات المستقاة من التسلسل السابق وما يميزه في هذا العرض أيضا انه يعالج المشكلة بعد أن يسقطها على هذا الواقع .

- وأختم هذا المبحث بعرض مثال آخر من أمثلة عرض الأستاذ طنطاوي للموضوع القرآني.

وهو في سورة يونس :

في الآية رقم (٢٠) وهي قوله تعالى :" وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنْ الْمُنْتَظِرِينَ "

يقول طنطاوي مشيراً إلى المراد من الآية :

" ومرادهم بالآية التي طلبوها : أية كونية سوى القران الكريم ، بأن تكون معه – صلى الله عليه وسلم ناقة كناقة صالح –عليه السلام – أو تكون معه عصا كعصا موسى –عليه السلام – وكأنهم لا يعتبرون القران آية كبرى ، ومعجزة عظمى على صدقه – صلى الله عليه وسلم - .

ثم قال " ومرادهم بإنزالها : ظهورها على يديه – صلى الله عليه وسلم – حتى يروا ذلك بأعينهم ...ثم ذكر المفسر إلى أن مطالبهم هذه إنما كانت على سبيل العناد والتعنت لا الاسترشاد والتثبت ، وقد أكد المفسر هذا المعنى بإيراده لآية أخرى من سورة الأنعام هي قوله تعالى " وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمْ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ " (الأنعام:١١١)"[1]

ونلحظ هنا أن المفسر دعم وتمم معنى الآية في هذه السورة وزاد في بيانها بعرض آية من سورة أخرى – الأنعام - تحوي في موضوعها موضوع تلك الآية في سورة يونس وما ذلك إلا

[1] ـ التفسير الوسيط ، ج٧ ، ص٤٦

دلالة على تكامل مواضيع القران واتصالها رغم تفرقها على السور وهذا غاية الإعجاز . والمنهج القويم في جمع آيات الموضوع القرآني .

ولم يكتف المفسر هنا بتلك الآية من سورة الأنعام بل عرض الآيات الأخرى التي تتضمن ذات الموضوع من السور الأخرى في القران الكريم ، وفيما يلي كلام طنطاوي :

" ولقد حكى القران – في آيات كثيرة – المطالب المتعنتة التي طلبها المشركون من النبي – صلى الله عليه وسلم – والتي تدل على عنادهم وجحودهم ، ومن ذلك قوله تعالى " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنْ الأَرْضِ يَنْبُوعاً (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً (٩٣) " (الإسراء : ٩٠-٩٣)

كما حكى أيضا سبحانه انه لو أجابهم إلى مطالبهم لما آمنوا , لأنهم معاندون جاحدون ، فقال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٩٧) " (يونس ٩٦- ٩٧)

وقال سبحانه " وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ " (الأنعام : ٧) "[١]

وبناءً على ذلك العرض الموجز للموضوع القرآني كما تناوله التفسير الوسيط ، واعتمادا على القواعد العامة في منهجية البحث في الموضوع القرآني تجد الباحثة أنه يبرز لدى الشيخ العناية بعرض الهدايات والأحكام والآداب ، وهذه قاعدة مطردة لدى الشيخ في التفسير ،و تُعد من القواعد الأساسية في التفسير الموضوعي .

وبناءً على ما سبق بيانه فان الدراسة تتوصل إلى أن التفسير الوسيط يمكن تصنيفه في مكتبة التفاسير الموضوعية ذات العرض الوسيط ، ذلك أن المفسر فيه ظهرت له عناية بهذا اللون من التفسير، والله اعلم .

[1] - التفسير الوسيط ،ج٧ ، ص ٤٧

الفصل الثاني : الدراسة التطبيقية لأنواع التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط، والقيمة العلمية لها .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الدراسة التطبيقية لأنواع التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية في التفسير الوسيط – سورة الأنفال أنموذجا

- المطلب الثاني : الموضوع القرآني في التفسير الوسيط – إفساد بني إسرائيل في الأرض أنموذجا.

المبحث الثاني : القيمة العلمية لمنهجية الوسيط في التعامل مع التفسير الموضوعي .

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : المناحي الايجابية في منهجية الوسيط في التعامل مع التفسير الموضوعي

- المطلب الثاني : المناحي التي أخذت على منهجية الوسيط في التعامل مع التفسير الوسيط .

المبحث الأول : الدراسة التطبيقية لأنواع التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط

وقد جاء هذا المبحث في مطلبين :

- المطلب الأول : الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية في التفسير الوسيط – سورة الأنفال أنموذجاً .

- المطلب الثاني : الموضوع القرآني في التفسير الوسيط – إفساد بني إسرائيل في الأرض أنموذجاً .

المطلبُ الأول : الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية في التفسير الوسيط – سورةُ الأنفالِ أنموذجاً .

سورة الأنفال سورة مدنية وهي السورة الثامنة في ترتيب المصحف الشريف وقد جاءت بعد سورة الأعراف المكية وقبل التوبة المدنية ، وقد نزلت بعد غزوة بدر الكبرى وتناولت موضوع الغزوة وتبعاتها .

وقد ذكر طنطاوي في بداية السورة بعض المقدمات حولها، فذكر ترتيب السورة في المصحف، وعدد آياتها البالغة خمساً وسبعين آية ، وسبب التسمية بالأنفال ، فقال :

"ذلك أنها تحدثت عن الأنفال أي الغنائم في أكثر من موضع "[١]

ثم بين لنا مدنية السورة بأكملها ، مؤيدا ذلك بما قاله الصحابة والتابعون في هذا الشأن ، ثم ذكر رأيه فقال " والذي ترتاح إليه النفس أن سورة الأنفال جميعها مدنية ، وأن ما في بعض آياتها من أوصاف لأحوال المشركين في مكة قبل الهجرة لا يعني كون هذه الآيات مكية ؛ لان هذه الآيات إنما هي من باب التذكير للرسول وأصحابه بما كان عليه أولئك القوم من عناد ومكابرة وانحراف عن الطريق القويم ، أدى بهم إلى الهزيمة في بدر وفي غيرها من المعارك التي كان النصر فيها للمؤمنين"[٢].

ولعل عناية طنطاوي ببيان مكية السورة من مدنيتها ينبع من إيمانه بأهمية هذا العلم ، وفوائده فقد ذكر د. فضل عباس - رحمه الله - فوائد المكي والمدني منها[٣] :

- الوقوف على السياسة الحكيمة التي سلكها القران في تربية هذا الإنسان .

- تيسير فهم الموضوعات القرآنية بحيث تدرس القضايا القرآنية دراسة موضوعية مبنية على الترتيب الزمني .

وقد دار خلاف بين العلماء في تحديد السور المكية من السور المدنية ، وليس ميدان دراستنا التوسع في طرح هذا الموضوع ، ولكني أشير إلى أن منهجية طنطاوي في عرضه للمكي

[1] - التفسير الوسيط ، ج٦ ، ص٧
[2] - التفسير الوسيط ، ج ٦ ، ص ٨
[3] - عباس ، د. فضل حسن ، إتقان البرهان في علوم القران ،دار الفرقان ، ج١ ، ص (٣٦٩-٣٧١)

والمدني– كما بينا ذلك في الفصل التمهيدي – كانت متنوعة دون تكلف فهو يبين المكي والمدني في السور القرآنية مرجحا بما يستند إليه من الدليل النقلي كقول الصحابي والدليل العقلي كالسياق.

ويمكن أن نعدَّ ما سبق ذكره يمثل الخطوة الأولى في البحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية وهي : التقديم للسورة بتمهيد . وهذا التمهيد والتقديم للسورة لا ينفك مفسر ولا باحث في سورة قرآنية عن ذكره . إما موجزا وسيطا كطنطاوي وإما مطولاً كبعض المفسرين أمثال الآلوسي وابن عاشور و سيد قطب وغيرهم .

أما الخطوة الثانية وهي : بيان وجوه المناسبات بين السورة والسورة وبين الآيات في السورة فقد ذكر طنطاوي هنا وجها لمناسبة سورة الأنفال بسورة الأعراف ، وقد أشار إلى أقوال الآلوسي في ذلك ، فالآلوسي يرى أن من وجوه مناسبة الأعراف للأنفال ، أن في سورة الأعراف قال تعالى" خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ "، وفي الأنفال ورد كثير من أفراد المأمور به ، ومناسبة أخرى أن في الأعراف ذكراً لقصص الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – مع أقوامهم ، وفي هذه ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر ما جرى بينه وبين قومه . ثم إنه قد فصّل سبحانه وتعالى في الأعراف قصص آل فرعون وأضرابهم وما حل بهم وأجمل في الأنفال ذلك فقال " كدأبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ " وأشار طنطاوي إلى غير ذلك من الأقوال للآلوسي [١] ثم عقب عليها د. طنطاوي بأن هذه الأقوال لا تخلو من تكلف ، وأن كثيرا مما ذكروه من مناسبات بين سورتين معينتين لا يختص بهما ، بل هو موجود فيهما وفي غيرهما ، ثم أشار طنطاوي إلى أن ترتيب السور توقيفي ، وأن كل سورة لها موضوعاتها التي نراها بارزة بصورة تميزها عن غيرها[٢].

وفي معرض ردهِ على الآلوسي ذكر أن ما وضعه الآلوسي في المناسبة بين السورتين لا يختص بهما وحدهما ، وهذا كلام صحيح يدل على أن ما ذكره الآلوسي كان عاما يشمل جميع السور ، وهذا ما أكده الدكتور مصطفى زيد في أثناءِ تفسيره لسورة الأنفال حيث قال بعد عرضه لأقوال الآلوسي :

" ونحن إذا أنعمنا النظر في هذه المناسبات التي ذكرها الآلوسي ، وفيما عسى أن نستخلصه من مناسبات أخرى على شاكلتها – تبينا أنه لا واحدة منها تخص هاتين السورتين ؛ ففي كثير من السور أمر بالمعروف ، لأن الأمر بالمعروف دعامة يقوم عليها المجتمع الإسلامي ، وفي كثير

---

1 - انظر : الالوسي ، روح المعاني ، ج٥ ، ص ١٤٧
2 - التفسير الوسيط ، ٩/٦

منها حديث عن قصة الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومه ... والحديث عن آل فرعون ورد في عدة سور غير الأعراف والأنفال ،...وسوء زعم الكفرة في القران لم تنفرد به هاتان السورتان حتى يتخذ مناسبة لترتب إحداهما على الأخرى .."ثم نراه يتساءل " أي معنى للبحث عن مناسبة بين أي سورتين متتاليتين ، ما دامت كل منهما وحدة مستقلة عن الأخرى " [١]

ويشير كلام د. زيد إلى أمر خطير هو إنكار المناسبة بين السورتين ، ونرد عليه بأنه ثبت بما لا مجال للشك فيه بأن إدراك المناسبات بين الآيات والسور رافدٌ هامٌ من روافد الإعجاز تتجلى فيه البلاغة القرآنية برمتها ويظهر فيه القران كالنسيج الواحد أو كالعقد من اللؤلؤ متراص مترابط رغم تباعد فترات نزوله .

أما الخطوة الثالثة : فتحديد موضوع السورة والمحاور التي تقوم عليها

وهنا نجد د .طنطاوي يحدثنا عن موضوع السورة العام ، وكأني به قصد وحدة السورة الموضوعية، فقال : " وسورة الأنفال عندما نتأمل ما اشتملت عليه من آيات ، نراها تحدثنا في مجموعها عن غزوة بدر ، فتعرض أحداثها الظاهرة ، كما تعرض بشارات النصر فيها ، وتكشف عن قدرة الله وتدبيره في وقائع هذه الغزوة الحاسمة ، وتبين كثيرا من الإرشادات والتشريعات الحربية التي يجب على المؤمنين إتباعها حتى ينالوا النجاح والفلاح " [٢].

وأشير إلى أنه ذكر هذا في تمهيده للسورة ولكن في ثنايا هذا التفسير نجده قد أشار إلى تلك المواضيع وقد توسع في بيانها .

ولعل موضوع السورة الذي اختاره طنطاوي كان مختصرا ومجملا وقد وافق فيه سيد قطب ، إلا أننا نلاحظ أن قطب توسع في بيان موضوع السورة العام الذي تدور حوله آيات السورة ، فقال سيد قطب :

" فإن السورة تنظم ارتباطات الجماعة المسلمة على أساس العقيدة السليمة – كما أسلفنا –وبيان الأحكام التي تتعامل به مع غيرها من الجماعات الأخرى في حالة الحرب والسلم إلى هذه الفترة التي نزلت فيها السورة وأحكام الغنائم والمعاهدات وتضع خطوطا أصيلة في تنظيم تلك الروابط

[1] - زيد ، د. مصطفى ، سورة الأنفال عرض وتفسير ، ط٥ ، مكتبة دار العلوم ، ص١٢
[2] - التفسير الوسيط ، ٩/٦

وهذه الأحكام في مثل هذه النصوص الواضحة المحددة " [1] ثم ذكر سيد بعضا من تلك النصوص القرآنية .

ثم يؤكد هذه المعاني ، فيقول :

" وتضمنت السورة التوجيهات الموحية إلى هذه المعاني الكبيرة ؛ والى هذه الحقائق الضخمة الخطيرة . كما تضمنت الكثير من دستور السلم والحرب ، والغنائم والأسرى ، والمعاهدات والمواثيق ، وعوامل النصر وعوامل الهزيمة ، كلها مصوغة في أسلوب التوجيه المربي ، والذي ينشئ التصور الاعتقادي ، ويجعله هو المحرك الأول في النشاط الإنساني ... وهذه هي سمة المنهج القرآني في عرض الأحداث وتوجيهها ، ثم أنها تضمنت مشاهد من الموقعة , ومشاهد من حركات النفوس قبل المعركة وفي ثناياها وبعدها .. مشاهد حية تعيد إلى المشاعر وقع المعركة وصورتها وسماتها ؛ كأن قارئ القران يراها فيتجاوب معها تجاوبا عميقا "[2]

وكذلك نجد أن طنطاوي أكد موضوع السورة خلال تفسيره لها ، وفي نهاية السورة أكد هذا المعنى وبيان ذلك :

" وبذلك نرى الآيات الكريمة قد مدحت المهاجرين والأنصار مدحا عظيما ، كما مدحت المؤمنين من بعدهم ، وحضت على الجهاد في سبيل الله ، وأمرت بالوفاء بالعهود ، وبالوقوف صفا واحدا في وجه الكفار حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى "[3].

وختم الحديث بالربط بين اسم السورة وموضوعها ، فقال :

"وبعد : فهذا ما وفق الله إليه في تفسيره سورة الأنفال ، أو سورة بدر - كما سماها ابن عباس - لأنها تحدثت باستفاضة عن أحداث هذه الغزوة وعن أحوال المشركين فيها ، وعن بشارات النصر التي تقدمتها وصاحبتها وعن غنائمها وأسراها ، كما تحدثت عن صفات المؤمنين الصادقين ، وعن الأقوال والأعمال التي يجب عليهم أن يتمسكوا بها لينالوا رضا الله ونصره ، وعن رذائل المشركين ومسالكهم القبيحة لمحاربة الدعوة الإسلامية ، وعن المبادئ التي يجب أن يسير عليها المسلمون في حربهم وسلمهم ، وعن سنن الله في خلقه التي لا تتغير ولا تتبدل "[4]

[1] - قطب ، سيد ، في ظلال القران ، ج٣ ، ص ٧٩٠
[2] - في ظلال القران ، ج٣ ، ص٧٩٣
[3] -التفسير الوسيط ، ج ٦ ص ١٧٠
[4] - التفسير الوسيط ، ج٦ ص ١٧٠

ثم شرع محمد طنطاوي في بيان مقاصد السورة ، وما اشتملت عليه السورة من مواضيع - وكما قررنا من قبل أن بيان مقاصد السورة من حلقات وحدة السورة الموضوعية على أن ترتبط هذه المقاصد والأهداف بموضوع السورة العام- ، باختصار ودون إسهاب ، وتبعه ببيان الأمور التي اهتمت بها السورة ، وقد اختصرها بثلاثة أمور هي باختصار [1] :

أ- تربية المؤمنين على العقيدة السليمة ، وعلى الطاعة لله ورسوله ، وإصلاح ذات البين و غيرها من المعاني السامية ، وقد أفاضت السورة في غرس هذه المعاني في نفوس المؤمنين ، لأنها نزلت في أعقاب اللقاء الأول بينهم وبين أعدائهم ، فناسب أن تكرر غرس المعاني حتى تستمر القلوب على الطاعة.

ب – تذكير المؤمنين بما عليه أعداؤهم من جحود وعناد ، وبما كان منهم من مكر برسولهم – صلى الله عليه وسلم – واستهزائهم بدينهم وقرآنهم ...وهذا التذكير قد تكرر كثيراً في سورتنا هذه، لكي يستمر المؤمنون على حسن استعدادهم

ج- إرشاد المؤمنين إلى المنهاج الذي يجب أن يسيروا عليه في حالتي حربهم وسلمهم ، لأنهم متى ساروا عليه حالفهم النصر.

وأقول هنا لابد من الوقوف على طريقة الأستاذ سيد قطب في وحدة السورة الموضوعية ، وهل وافق الأستاذ طنطاوي سيد قطب في تلك الخطوات ؟ وما أوجه الاختلاف بينهما ؟ وما هي أوجه الاتفاق ؟ .

إن الأستاذ سيد قطب –رحمه الله – الذي عُني عناية واضحة بوحدة السورة الموضوعية نجده بناء على النموذج السابق المختار – سورة الأنفال – يعرض في البداية لمدنية السورة وعدد آياتها ثم لمناسبة سورة الأنفال لسورة الأعراف ، بناء على الترتيب المصحفي . الذي يرى فيه قطب المنهج القويم في بيان منهج السورة وحركتها – وهذا ما ذكرناه من قبل عند استعراضنا للترتيب النزولي والترتيب المصحفي – ولعل عدم اهتمام سيد قطب بالتفسير بناءً على الترتيب النزولي ، قوله بعد استعراض تلك الروايات المختلفة في تحديد بعض آيات السورة من حيث مكيتها ومدنيتها، قال :

" فإنه من أجل مثل هذه الملابسات في الروايات الواردة عن أسباب النزول ،آثرنا المنهج الذي جرينا عليه في عرض القران الكريم كما هو ترتيب السور في مصحف عثمان – رضي الله عنه–

[1] -التفسير الوسيط ٦/١٤ ، باختصار

لا وفق ترتيب النزول الذي لا سبيل اليوم فيه إلى يقين .. مع محاولة الاستئناس بأسباب النزول وملابساته قدر المستطاع "[1]

وما تميز به طنطاوي في هذا الشأن أنه بعد أن يذكر الروايات نجده – غالبا ما - يرجح رأيا منها وقد بيّنت في التمهيد منهجه في هذا الجانب - ، فقد ذكر قول الزمخشري في ترتيب نزول السورة ثم ذكر رأيه فيها ، وهذا يدلنا على اهتمام طنطاوي بذكر الترتيب النزولي كعنايته بالتفسير وفق الترتيب المصحفي .

وفيما يخص مرحلة السورة وموضوعها نجد أن طنطاوي وافق قطب في بيان مرحلة السورة وأنها نزلت بعد غزوة بدر وقد قام كل منهما ببيان أحداث الغزوة ، إلا أن الأستاذ قطب بين أهمية تلك الخطوة بقوله:

" ذلك أن النصوص القرآنية لا تدرك حق إدراكها بالتعامل مع مدلولاتها البيانية واللغوية فحسب، إنما تدرك أولا وقبل كل شيء بالحياة في جوها التاريخي الحركي ، وفي واقعيتها الايجابية ، وتعاملها مع الواقع الحي "[2]

وهذا ما وجدته واضحا عند مصطفى زيد ، حيث يقول :

" تعتبر سورة الأنفال من السور القلائل التي يحدد موضوعها تاريخ نزولها، فقد استغرقت غزوة بدر معظم آياتها ، حتى قال فيها ابن عباس – رضي الله عنهما – فيما رواه عن سعيد بن جبير:" تلك سورة بدر " ويعني هذا أنها سورة مدنية ، وأنها من أوائل السور التي نزلت بالمدينة "[3]

ولعل هذا يقودنا إلى إحدى خطوات الوحدة الموضوعية للسورة ، الذي ينطلق فيه المفسر من الواقع الحي الذي نزل فيه القرآن والواقع الحي الذي يعيشه المفسر ، ولعل تلك القضية برزت عند الأستاذ طنطاوي في تفسيره لأكثر سور القرآن الكريم بشكل واضح وميسر .

ونلحظ هذا في تفسيره للسورة التي معنا عندما أسقط الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم على القران الكريم ، فعند تفسيره للآية " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ..(الأنفال : ٥٩)،

[1] - قطب ، سيد ، في ظلال القران ، ج ٣ ، ص٧٣١
[2] - قطب ، سيد، في ظلال القران ، ج٣ ، ص٧٦٨
[3] - زيد ، د. مصطفى ، سورة الأنفال عرض وتفسير ، ص ٩

نجده يقول عند ذكره للأحكام المستفادة من الآية :" أما اليوم فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية..."[1] وسيأتي تفصيل ذلك وبيانه..

وعند استعراضنا لهذه الخطوات الأولى نجد بداية أن المفسر قد تأثر كثيرا بتفسير سيد قطب وقد ظهرت لديه العناية بوحدة السورة الموضوعية ، وبيان ذلك ما يلي :

١- إن ذكر الشيخ لمدنية السورة وبيان جوها ، وترجيحه لمدنيتها بناءً على مواضيعها ، يُعين على تحديد موضوعها ، ذلك أن مواضيع السورة تُعد أحد المرجحات لمعرفة مكية السورة من مدنيتها - مع أن هذا الأمر مختلف فيه - كذلك فإن لكل نوع من أنواع السورة مواضيع خاصة تميزها عن غيرها بشكل عام ، حيث إن للسور المكية مواضيع خاصة تختلف عن مواضيع السور المدنية [2]، والوحدة الموضوعية تُبين موضوع السورة بشكل خاص ، فمعرفة مكية السورة من مدنيتها حلقة من حلقات الوحدة الموضوعية فيها.

٢- تأكيده على أن لكل سورة موضوعاتها التي نراها بارزة بصورة تميزها عن غيرها ، وهذا بالتأكيد يدلنا على إقراره بوحدة السورة الموضوعية، ذلك أن المناسبات بين آيات السورة حلقة وخطوة في استخراج الوحدة الموضوعية للسورة

٣- ذكر الشيخ لموضوع السورة العام ، ولعله قصد بذلك وحدة السورة الموضوعية، وبيانها بذكر ما اشتملت عليه السورة من هدايات سامية ،وآداب عالية، وتعقيبه عليها بامور ثلاثة برزت في السورة ، وربطها بموضوعاتها .

أما الخطوة الرابعة التي اتبعها محمد طنطاوي لاستخراج الوحدة الموضوعية، فقد كانت بتقسيمه السورة إلى عدة مقاطع ، وقد وافق الأستاذ طنطاوي الأستاذ سيد قطب في أغلب هذه المقاطع ، واختلف معه في أربعة مقاطع هي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر ، لكنه اختلاف يسير لا يُذكر، وأن دل ذلك على شيء فإنما يدل على اتفاق رأي كل منهما لمواضيع هذه المقاطع وبالتالي موضوع السورة الأعظم الذي شكّل لديهما وحدة السورة الموضوعية ، وهذه المقاطع التي وضعها طنطاوي كانت كما يلي :

المقطع الأول: الآيات (١- ٤)

[1] - التفسير الوسيط ، ج ٦ ، ص ١٤٥

[2] - أنظر : الزركشي ، بدر الدين ، البرهان في علوم القران ج ١ ، ص ٢٤٢
وهذا ما وجدناه واضحا عند د. مصطفى زيد إذ أن موضوع السورة جعله يرجح مدنيتها .

المقطع الثاني : الآيات (٥-٨)

المقطع الثالث: الآيات (٩-١٤)

المقطع الرابع : الآيات (١٥-١٩)

المقطع الخامس : الآيات (٢٠-٢٣)

وفي هذه المقاطع الخمسة وافق فيها محمد طنطاوي كل من سيد قطب و مصطفى زيد .

المقطع السادس : الآيات (٢٤-٢٦)

المقطع السابع: الآيات (٢٧-٢٩)

المقطع الثامن : الآيات (٣٠-٤٠)

المقطع التاسع : الآية(٤١)

المقطع العاشر: الآية (٤٢-٤٤)

وفي هذه المقاطع الخمسة وافق محمد طنطاوي سيد قطب فقط إلا أن قطب قسم المقطع التاسع إلى عدة مقاطع فرعية .

المقطع الحادي عشر : الآيات (٤٥-٤٦)

المقطع الثاني عشر : الآيات (٤٧-٤٩)

المقطع الثالث عشر : الآيات (٥٠-٥١)

المقطع الرابع عشر : الآيات (٥٢-٥٤)

المقطع الخامس عشر : الآيات (٥٥-٥٩)

المقطع السادس عشر : الآية (٦٠)

المقطع السابع عشر : الآيات(٦١-٦٣)

المقطع الثامن عشر : الآيات (٦٤-٦٦)

وقد وافق د. مصطفى زيد د. طنطاوي في جميع هذه المقاطع السابقة الذكر إلا أن د . زيد عدّ المقاطع من التاسع وحتى السابع عشر مقاطع فرعية ضمن مقطع رئيسي يضم الآيات (٢٤-٦٦) ، في حين نجد طنطاوي عدّها مقاطع رئيسية .

المقطع التاسع عشر : الآيات (٦٧-٦٩)

المقطع العشرون : الآيات (٧٠-٧١)

وهنا في هذين المقطعين السابقين وافقه د. زيد في وضعه من المقاطع الرئيسية .

المقطع الواحد والعشرون : الآيات (٧٢-٧٥)

وفي هذا المقطع وافق كل من الشيخ طنطاوي و د. زيد الأستاذ سيد قطب

وقد ربط طنطاوي بين موضوع كل مقطع والذي يليه، وتميز بذكر ما استنبطه العلماء من تلك الآيات- التي تضمنتها المقاطع- جملة من الأحكام والآداب ، وهذه خطوة من خطوات الوحدة الموضوعية للسورة – وتشابه منهجه في ذلك مع منهج سيد قطب - إلا أن طنطاوي كان عرضه وسيطا ومختصراً بينما كان عرض قطب طويلاً وشاملاً ومفصلاً إلى حدٍ ما . وسأقتصر على ذكر بعض الأمثلة من هذه المقاطع من التفسير الوسيط ، وكيف عالجها طنطاوي مع مقارنة ذلك بما ذكره الدارسون لهذه السورة الكريمة .

في المقطع الأول الذي تضمن الآيات (١-٤) وهي قوله تعالى"

" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) "

بدأ المفسر فيها بذكر الروايات في سبب نزول الآيات ذلك أن معرفة سبب النزول يعين على الفهم السليم ، ودليل ذلك قوله بعد ذكر الروايات " ومنها يتبين لنا أن نزاعاً حدث بين بعض الصحابة الذين اشتركوا في غزوة بدر ، حول الغنائم التي ظفروا بها من هذه الغزوة، فانزل الله تعالى في هذه الآيات بيان حكمه فيها "[1] ولم يُرجح طنطاوي أي رأي منها ، وكأنه ارتضاها جميعاً،

[1] - التفسير الوسيط ، ٦ / ٢٣

ودلالة ذلك أنه في معرض بيانه لمعنى الآية ، نجده قام بترجيح أحد الآراء في معنى الآية وكانت من ضمن مرجحاته أسباب النزول . يقول طنطاوي :

" والذي نراه أن الرأي الأول أرجح وذلك لأمور منها :

١- بعض الروايات التي وردت في أسباب نزول هذه الآية تؤيده تأييداً صريحاً ، ومن ذلك ما سبق أن ذكرناه عن عبادة بن الصامت أنه قال : " فينا معشر أصحاب بدر نزلت ، حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا . فجعله إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين عن سواء .

٢- ولأن غزوة بدر كانت أول غزوة لها شأنها وأثرها بين المسلمين والكافرين ، وكانت غنائمها الضخمة التي ظفر بها المؤمنون من المشركين ، حافزاً لسؤال بعض المؤمنين رسولهم - صلى الله عليه وسلم -عن حكمها وعن المستحق لها .

٣- ولأن الجواب عن السؤال بقوله - تعالى - : { قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ } يؤيد أن السؤال إنما هو عن حكم الأنفال وعن مصرفها ، إذ إن هذا الجواب يفيد أن اختصاص أمرها وحكمها مرجعه إلى الله ورسوله دون تدخل أحد سوى ورسوله.
ولو كان السؤال للاستعطاء لما كان هذا جواباً له ، فإن اختصاص حكم ما شرط لهم بالله والرسول لا ينافى إعطاءه إياهم بل يحققه ، لأنهم إنما يسألونه بموجب شطره لهم الصادر عنه بإذن الله - تعالى - لا بحكم سبق أيديهم إليه أو نحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور.

٤- ولأن قوله - تعالى - بعد ذلك { فاتقوا الله وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ . . } إلخ يؤيد أن السؤال عن حكم الأنفال ومصرفها بعد أن تنازعوا في شأنها ، فهو - سبحانه - ينهاهم عن هذا التنازع ، وبأمرهم بأن يصونوا أنفسهم عن كل ما يغضب الله . . . ولو كان السؤال للاستعطاء - بناء على ما شرطه الرسول - صلى الله عليه وسلم - لبعض زيادة على سهامهم - لما كان هناك محذور يجب اتقاؤه ، لأنهم لم يطلبوا من الرسول إلا ما وعدهم به وهذا لا محظور فيه .

٥- ولأن الآية الكريمة بمنطوقها الواضح ، وبتركيبها البليغ ، وبتوجيهها السامي ، تفيد أن السؤال إنما هو عن حكم الأنفال وعن المستحق لها . . أما القول بأن السؤال سؤال استعطاء وأن عن زائدة أو بمعنى من فهو تكلف لا ضرورة إليه .
والمعنى الواضح الجلي للآية الكريمة - كما سبق أن بينا - : يسألك بعض أصحابك يا محمد عن

غنائم بدر كيف تقسم ، ومن المستحق لها؟ قل لهم : الأنفال لله يحكم فيها بحكمه ، ولرسوله يقسمها بحسب حكم الله فيها ، فهو - سبحانه - العليم بمصالح عباده ، الحكيم في جميع أقواله وأفعاله ."[1]

الأستاذ سيد قطب بعد ذكر آيات المقطع يقول :" موضوع هذا الدرس الأول في السورة ، هو بيان حكم الله في الأنفال .. والمغانم التي يغنمها المسلمون في جهادهم في سبيل الله .. بعد ما ثار بين أهل بدر من الجدال حول تقسيمها . فردهم الله إلى حكمه فيها ؛ كما ردهم إلى تقواه وطاعته وطاعة رسوله ؛ واستجاش في قلوبهم وجدان الإيمان والتقوى "[2]

وفي معرض بيانه لسبب النزول بيّن قطب أهمية هذا العلم في بيان الآيات ، فيقول :

" ونضيف هنا إليها بعض الروايات ؛ زيادة في استحضار الجو الذي نزلت فيه السورة جملة ، والذي نزلت فيه الآيات الخاصة بالغنائم والأنفال بوجه خاص ؛ واستحضار الملامح الواقعية للجماعة المسلمة في أول وقعة كبيرة بعد قيام الدولة المسلمة في المدينة "[3]

ثم شرع طنطاوي بشرح الآيات وتحليلها ببيان معاني الألفاظ ودلالاتها ، وما اشتملت عليه الآيات من مواضيع وأورد هنا شيئا من كلامه في هذا المقطع مما يدلنا على عنايته بمواضيع المقطع المرتبطة بموضوع السورة العام فيقول – بعد بيانه للآية الأولى :

" ثم وصف - سبحانه - المؤمنين الصادقين بخمس صفات ، وبشرهم بأعلى الدرجات ، فقال في بيان صفتهم الأولى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } فالجملة الكريمة مستأنفة وهى مسوقة لبيان أحوال المؤمنين الذين هم أهل رضا الله وحسن ثوابه ، حتى يتأسى بهم غيرهم. وقوله { وَجِلَتْ } من الوجَل وهو استشعار الخوف .. والمراد بذكر الله : ذكر صفاته الجليلة ، وقدرته النافذة ، ورحمته الواسعة ، وعقابه الشديد ، وعلمه المحيط بكل شيء ، وما يستتبع ذلك من حساب وثواب وعقاب .

والمعنى : إنما المؤمنون الصادقون الذين إذا ذكر اسم الله وذكرت صفاته أمامهم ، خافت قلوبهم وفزعت ، استعظاماً لجلاله وتهيبا من سلطانه ، وحذراً من عقابه ، ورغبة في ثوابه ، وذلك لقوة إيمانهم ، وصفاء نفوسهم ، وشدة مراقبتهم لله - عز وجل - وقوفهم عند أمره ونهيه .
وقد جاء التعبير عن صفاتهم بصيغة من صيغ القصر وهى " إِنَّمَا " ، للإشعار بأن من هذه صفاتهم هم المؤمنون الصادقون في إيمانهم وإخلاصهم ، أما غيرهم ممن لم تتوفر فيه هذه الصفات ، فأمره

[1] - التفسير الوسيط ، ج٦ ص ٢٦-٢٧
[2] - قطب ،سيد ، في ظلال القران ، ج ٣، ص٧٩٧
[3] - قطب ، سيد ، في ظلال القران ، ج٣ ، ص ٧٩٨

غير أمرهم ، وجزاؤه غير جزائهم ... والصفة الثانية من صفات هؤلاء المؤمنين الصادقين عبر عنها ـ سبحانه ـ بقوله : { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانَاً } .

أي أن من صفات هؤلاء المؤمنين أنهم إذا قرئت عليهم آيات الله أي : حججه وهى القرآن؛ زادتهم إيمانا ، أي : زادتهم قوةً في التصديق ، وشدةً في الإذعان ، ورسوخاً في اليقين ، ونشاطاً في الأعمال الصالحة ، وسعةً في العلم والمعرفة ... والصفة الثالثة من صفاتهم قوله ـ تعالى ـ : {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } .

أي : أن من صفات هؤلاء المؤمنين ـ أيضاً ـ أنهم يعتمدون على ربهم الذي خلقهم بقدرته ، ورباهم بنعمته ، فيفوضون أمورهم كلها إليه وحده ـ سبحانه ـ لا إلى أحد سواه ، كما يدل عليه تقديم المتعلق على عامله ...قال سعيد بن جبير : " التوكل على الله جماع الإيمان " .

ومن الواضح عند ذوى العقول السليمة أن التوكل على الله لا ينافى الأخذ بالأسباب التي شرعها ـ سبحانه ـ بل إن الأخذ بالأسباب التي شرعها الله وأمر بها لبلوغ الغايات ، لدليل على قوة الإيمان، وعلى حسن طاعته ـ سبحانه ـ فيما شرعه وفيما أمر به .

وليس من الإيمان ولا من العقل ولا من التوكل على الله أن ينتظر الإنسان ثماراً بدون غرس ، أو شبعاً بدون أكل ، أو نجاحاً بدون جهد ، أو ثواباً بدون عمل صالح .

إنما المؤمن العاقل المتوكل على الله ، هو الذي يباشر الأسباب التي شرعها الله لبلوغ الأهداف مباشرة سليمة . ثم بعد ذلك يترك النتائج له ـ سبحانه ـ يُسيِّرها كيف يشاء ، وحسبما يريد . .

أما الصفتان الرابعة والخامسة من صفات هؤلاء المؤمنين فهما قوله ـ تعالى ـ { الذين يُقِيمُونَ الصلاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } "[١].

ثم بيّن ما استنبطه العلماء من تلك الآيات من الأحكام والآداب ، وهي باختصار[٢] :

١ـ حرص الصحابة على سؤال النبي –صلى الله عليه وسلم – عما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم

٢ـ أن القران في ترتيبه للحوادث لا يلتزم سردها على حسب زمن وقوعها، وإنما يرتبها باسلوبه الخاص الذي يراعي فيه مقتضى حال المخاطب .

"فلقد افتتحت السورة التي معنا بالحديث عن الغنائم التي غنمها المسلمون في بدر ـ مع أن ذلك كان بعد انتهاء الغزوة ـ ليشعر المخاطبين من أول الأمر أن النصر في هذه الغزوة كان للمسلمين، وأن

---

[1] ـ التفسير الوسيط ، ج٦ ص٣١ باختصار
[2] ـ التفسير الوسيط ، ج٦ ص٣٢

الإسلام قد صرع الكفر منذ أول معركة نازله فيها . وهذا اللون من الافتتاح هو ما يعبر عنه البلغاء ببراعة الاستهلال"[1]

٣- استدل جمهور العلماء بقوله تعالى " وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانَاً " على أن الإيمان يزيد وينقص .

٤- في هذه الآيات الكريمة تربية ربانية للمؤمنين وتوجيه لهم إلى ما يسعدهم ، وإرشادا لهم إلى أن المؤمن الصادق في إيمانه ، هو الذي يجمع بين سلامة العقيدة وسلامة الخلق ، وصلاح العمل.ومتى جمع هذه الصفات ارتفع إلى أعلى الدرجات.

وقد ذكر طنطاوي هنا كلاما في غاية الروعة يجمع بين مقاصد السورة وموضوعها العام والواقع المعيش فيقول :

" وقد عالجت هذه الآيات نفوس المؤمنين ، وعملت على تطهيرها من الاختلاف الذي ينشأ عن حب المال والتطلع إلى المادة ، ولا ريب أن حب المال والتطلع إلى المادة من أكبر أسباب الفشل.ولأهمية هذا الموضوع في حياة المؤمنين بدأت به السورة ، وإن كان اختلافهم في قسمة الأنفال متأخراً في الوجود عن اختلافهم في الخروج إلى بدر ، وقتال الأعداء .
وقد عرفنا من سنة القرآن في ذكر القصص والوقائع أنه لا يعرض لها مرتبة حسب وقوعها ، وذلك لأنه لا يذكرها على أنها تاريخ يعين لها الوقت والمكان ، وإنما يذكرها لما فيها من العبر والمواعظ، ولما تطلبه من الأحكام والحكم .وقد بدأت السورة بالحديث عن الأنفال للمسارعة من أول الأمر بنتائج النصر الذي كفله الله للمؤمنين .وليس من تربية النفوس أن نبدأ الكلام بما يدل على الاضطراب والفزع والتردد أمام وسائل العزة والشرف ، متى وجد لهم بجانب هذا التردد ما يدل على مواقف الشرف والكرامة . .ولا كذلك يكون الأمر إذا بدئت ببيان تثاقلهم في الخروج إلى الغزوة ، وانظر كيف يكون وقع المطلع إذا جاء على هذا الوجه { كما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بالحق وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ المؤمنين لكَارِهُونَ . . }.
لا ريب أنه مطلع شديد الوقع على النفوس ، يصور علاقة المؤمنين بنبيهم في صورة يأباها إيمانهم به وامتثالهم لأمره . يصورهم في شقاق واختلاف مع قائدهم ورسولهم ويصوره في ثوب الكراهية الشديدة لمعالي الأمور وعز الحياة .لهذا كله جاء الأسلوب في سرد الوقائع غير مكترث بمخالفة ترتيبها في الوجود الخارجي "[2]

---

[1] - التفسير الوسيط ، ج٦ ص ٣٣
[2] - التفسير الوسيط ، ج٦ ص ٣٤

وقد ربط المفسر بين موضوع هذا المقطع والمقطع الثاني بقوله " ثم أخذت السورة بعد هذا الافتتاح المشتمل على أروع استهلال وابلغه واحكمه..، في الحديث عن الغزوة التي كان من ثمارها تلك الأنفال، فاستعرضت مجمل أحداثها ، وصورت نفوس فريق من المؤمنين الذين اشتركوا فيها أكمل تصوير " بآيات المقطع الثاني ، المتضمن الآيات (٥-٨) وهي قوله تعالى:

"كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨) "

حيث اتبع فيه ما اتبعه في المقطع السابق إلا انه لم يذكر في هذا المقطع الأحكام والآداب كما ذكر في السابق ، وبين موضوع كل مقطع منهما في نهاية آيات المقطع الثاني بقوله " والى هنا نرى السورة الكريمة قد حدثتنا في الأربع الآيات الأولى منها عن حكم الله تعالى في غنائم بدر بعد أن اختلف بعض المؤمنين في شانها ، وعن صفات المؤمنين الصادقين الذين يستحقون من الله تعالى ارفع الدرجات. ثم حدثتنا في الأربع الآيات الثانية منها عن حال بعض المؤمنين عندما دعاهم النبي –صلى الله عليه وسلم- إلى قتال أعدائه وعن مجادلتهم له بذلك وعن إيثارهم المال على القتال ، وعن إرادة ما هو خير لهم في دنياهم وآخرتهم ، وفي ذلك ما فيه من العبر والعظات لقوم يعقلون"[1].

أما سيد قطب فيُشير إلى هذا المعنى بقوله :

" إن رد الأنفال لله والرسول ، وقسمتها بينهم على السواء وكراهة بعض المؤمنين لهذه التسوية...ومن قبل كراهة بعضهم لاختصاص بعض الشباب بالنصيب الأوفر منها ..إنها شأن يشبه شأن إخراج الله لك من بيتك – بالحق – لمقاتلة الفرقة ذات الشوكة ؛ وكراهة بعض المؤمنين للقتال..وبين أيديهم العاقبة التي أنتجت هذه الأنفال " [2]

وكذلك نجد د. مصطفى زيد يشير إلى ما أشار إليه طنطاوي وقطب وإن اختلفت العبارات بين التفصيل والإيجاز والتلميح ، فيقول د. زيد :

---

1 - التفسير الوسيط ، ٤٣/٦

2 - قطب ، سيد ، في ظلال القران ، ج ٣ ص ٨١٠

" وهنا ، بعد أن اكتملت الصورة التي رسمها للمؤمنين يبدأ الحديث عن قصة بدر من حيث بدأت القصة ، أي بالخروج للقاء العير ، كما بدأ الحديث عن النصر من حيث بدأ النصر ، أي بالإيمان الراسخ الذي يتمكن من القلب ، ويسيطر على الجوارح ، إنه يجعل خروج الرسول إخراجا منه هو ؛ ليدل من أول الأمر على أنه كان حقا ..ويصور كراهة فريق من المؤمنين للخروج ، وجدالهم في لقاء قريش وقتالهم بعد وضوح الحق لهم ليبين من البداية أن النصر كان منه وبفضله"[1]

وأشير هنا إلى أن وحدة السورة الموضوعية وكذلك مواضيع المقاطع الفرعية في السورة لا يعني أن يضم هذا العنوان كلمة أو كلمتين ؛ فقد يكون الموضوع جملة أو مجموعة من الجمل تؤدي الغرض اللازم من الآية أو الآيات .

وهذا ما وجدناه عند كل من سبق ذكره فكل واحد منهم تناول موضوع المقطع وربطه بالمقطع الذي يسبقه من وجهة نظره و من زاوية معينة ، ولكن الجميع يتفق على الفكرة نفسها

ومثال آخر في المقطع السادس عشر وهو قوله تعالى :

" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)"

ذكر قبل بداية تفسيره لهذا المقطع موضوعه ، فقال: "ثم أمر سبحانه المؤمنين بإعداد وسائل القوة التي بها يصلون إلى النصر والى بعث الرعب في قلوب أعدائهم "[2]

وشرح - كما في المقاطع السابقة - معاني الآيات ودلالات الألفاظ، مع ذكر الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية فقال :

" هذا ، ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية ما يأتي :

- وجوب إعداد القوة الحربية للدفاع عن الدين وعن الوطن وعن كل ما يجب الدفاع عنه ، لأن أعداء الإسلام إذا ما علموا أن أتباعه أقوياء هابوهم ، وخافوا بأسهم ، ولم يجرؤوا على مهاجمتهم.

وقال بعض العلماء : دلت هذه الآية على وجوب إعداد القوة الحربية ، اتقاء بأس العدو وهجومه ، ولما عمل الأمراء بمقتضى هذه الآية أيام حضارة الإسلام ، كان الإسلام عزيزاً ،

---

[1] - زيد ، مصطفى ، سورة الأنفال عرض وتفسير، ص ٣٩

[2] -التفسير الوسيط، ١٣٨/٦

عظيماً ، أبى الضيم ، قوى القنا ، جليل الجاه ، وفير السنا ، إذ نشر لواء سلطته على منبسط الأرض ، فقبض على ناصية الأقطار والأمصار .

أما اليوم فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة ، ومالوا إلى النعيم والترف ، فأهملوا فرضاً من فروض الكفاية ، فأصبحت جميع الأمة آثمة بترك هذا الفرض ، ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني .

وكيف لا يطمع العدو في بلاد الإسلام ، وهو لا يرى فيها معامل للأسلحة ، وذخائر الحرب ، بل كلها مما يشترى من بلاد العدو؟

أما آن لها أن تتنبه من غفلتها ، فتعد العدة التي أمر الله بها لأعدائه ، وتتلافى ما فرطت قبل أن يداهم العدو ما بقى منها بخيله ورجله . . ؟

إن القوة التي طلب الله من المؤمنين إعدادها لإرهاب الأعداء ، تتناول كل ما من شأنه أن يجعل المؤمنين أقوياء . كإعداد الجيوش المدربة ، والأسلحة المتنوعة التي تختلف بحسب الأزمنة والأمكنة...

وهذه الآية تدل على أن الاستعداد للجهاد بالنبل ، والسلاح ، وتعليم الفروسية ، والرمي فريضة إلا أنه من فرض الكفايات .

- إن رباط الخيل للجهاد في سبيل الله فضله عظيم ، وثوابه كبير فقد كانت الخيل هي خير ما عرف العرب من وسائل الانتقال في الحرب وأسرعها ، وما زالت الخيل لها قيمتها في بعض أنواع الحروب .

- إن الخيل لما كانت أصل الحرب وأوزارها إلى عقد الخير في نواصيها ، وهى أقوى القوة ، وأشد العدة ، وحصون الفرسان ، وبها يجال في الميدان ، لما كانت كذلك خصها بالذكر تشريفاً ، وأقسم بغبارها تكريماً ، فقال : { وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً } وقال الإمام ابن العربي : وأما رباط الخيل فهو فضل عظيم ومنزلة شريفة ...

- أن المقصود من إعداد العدة في الإسلام إنما هو إرهاب الأعداء حتى لا يفكروا في الاعتداء على المسلمين ، وحتى يعيش أتباع هذا الدين آمنين مطمئنين في ديارهم ، وحتى يستطيعوا أن يبلغوا رسالة الله إلى خلقه من الناس دون أن يخشوا أحداً سواه - عز وجل . .

- وجوب الإنفاق في سبيل الله ، ومن أشرف وجوه الإنفاق في سبيل الله أن يبذل المسلم ما يستطيع بذله في الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام ، والذي ما تركه قوم إلا ذلوا . . وألقوا بأنفسهم في

التهلكة .
ولقد بشرت الآية الكريمة المنفقين في سبيل الله ، بأنه - سبحانه - سيجزيهم على إنفاقهم جزاء وافيا لا نقص معه ولا ظلم "[1] .

ونلحظ من هذه الأحكام التي ذكرها المفسر تشكل الهدايات المنشودة ، وان تلك الأحكام لها صلة بالواقع المعيش.

وقد ربط بين موضوع هذا المقطع والذي يليه بعطف الأول على الثاني بحرف العطف ثم - الذي يفيد الترتيب مع التراخي – دلالة تتابع مواضيع المقاطع لبعضها بقوله: " ثم أمر الله تعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم- بقبول السلم والمصالحة إذا ما رغب أعداؤه في ذلك وكانت ظواهرهم وفعالهم تدل على صدق نواياهم فقال تعالى:

" وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)

وفي المقطع السابع عشر ، وكعادة المفسر ذكر قبل بداية تفسيره ما اشتمل عليه المقطع من مواضيع فقال :" ثم مضت السورة الكريمة في تثبيت الطمأنينة في قلب النبي – صلى الله عليه وسلم – فبينت لهم أن الله كافيهم وناصرهم ، وان القلة منهم تغلب الكثرة من أعداء الله وأعدائهم[2]، فقال تعالى:

" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦) "

وقال أيضا قبل بداية المقطع الذي يليه موضوعه " وبعد هذا الحديث المستفيض عن القتال في سبيل الله .. عقب سبحانه ذلك بالحديث عن بعض الأحكام التي تتعلق بالأسرى بمناسبة ما فعله الرسول – صلى الله عليه وسلم- مع أسرى غزوة بدر من الكافرين [3]، فقال تعالى :

---
[1] - التفسير الوسيط ، ٦ / ١٤٥
[2] -التفسير الوسيط، ١٤٩/٦
[3] - التفسير الوسيط ، ١٥٤/٦

" مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩) "

وختم المفسر السورة بإعادة الحديث عن مواضيع السورة ، وكأني به يؤكد لنا ما ذكره في تمهيده لهذه السورة من مواضيعها ،- والله اعلم-.

ومن خلال عرضنا لسورة الأنفال ، نجدُ أن المفسرَ قد اعتنى بالوحدة الموضوعية للسورة وكانت منهجية البحث في استخراجها مطابقة للمنهجية المقترحة التي قامت الدراسة بعرضها.

ونلحظ من خلال هذا العرض أن الشيخ طنطاوي قد أفاد كثيرا من الأستاذ سيد قطب – رحمهما الله- في منهجية عرض وحدة السورة الموضوعية ، إلا أن سيد قطب كان عرضه للآيات مطولاً ومفصلاً ، بينما كان عرض طنطاوي وسيطاً ومختصراً .

وكما وجدنا هذا المنهج في سورة الأنفال في وحدتها الموضوعية نجده في السور الأخرى لدى الشّيخ طنطاوي في تفسيره .

المطلب الثاني : الموضوع القرآني في التفسير الوسيط – إفسادا بني إسرائيل أنموذجاً

رأت الباحثة أن تدرس هذا الأنموذج للموضوع القرآني من التفسير الوسيط ، وذلك لما يلي :

١- عناية المصنف – رحمه الله –بهذا الموضوع وإفاضته في الحديث عنه في ثنايا التفسير .

٢- أن موضوع رسالته في الدكتوراه كان عن هذا الموضوع حيث قام بعرض شامل لتاريخ بني إسرائيل وطبائعهم وعاداتهم كما صورها القران الكريم وبيّنتها السنّة المطهّرة بالإضافة إلى عرضه لمنهج القران في عرض رذائلهم ودعواهم الباطلة ثم العقوبات التي حلت بهم والتي منها إفسادهم في الأرض وعقوبة الله عليهم .

وأشير هنا إلى أن الشيخ محمد طنطاوي لم يعرض لأغلب الموضوعات القرآنية بهذا البسط كما عرض هذا الموضوع .

وعلى ضوء ما سبق سأعرض هذا الموضوع كالتالي :

أولاً : الحديث عن بني إسرائيل في القران كما عرضه طنطاوي في كتابه (بنو إسرائيل في الكتاب والسنة) وتفسيره (التفسير الوسيط)

- نسب بني إسرائيل وتاريخهم

سأذكر هنا لتاريخ بني إسرائيل مجملاً ، مبتعداً عن الأقوال الضعيفة والإسهاب الممل ، ولعلي هنا اختصر ما ذكره كل من الشيخين محمد طنطاوي والبهي الخولي في كتابيهما [١]

يُقسم تاريخ اليهود إلى خمس مراحل هي :

المرحلة الأولى : تبدأ من نشأتهم إلى ظهور موسى عليه السلام بينهم في مصر

المرحلة الثانية : من ظهور موسى عليه السلام إلى وفاته عليه السلام بسيناء

[1] - انظر : طنطاوي ، محمد سيد ، بنو إسرائيل في القران والسنة ، ط١ ، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ص (٢٣- ٥٤) باختصار
والخولي ، البهي ، بنو إسرائيل في ميزان القران ، ط١ ، دمشق : دار القلم ، ص (١٩- ٣٨) بتلخيص واختصار

المرحلة الثالثة : من وفاة موسى عليه السلام إلى محنة السبي البابلي

المرحلة الرابعة : من عودتهم من السبي البابلي إلى تشريدهم بيد طيطس الروماني

المرحلة الخامسة : من تشريدهم بيد الرومان إلى العصر الحاضر

وكل مرحلة من هذه المراحل طوت الكثير من السنين والأحداث ، وبعضها حوى مراحل فرعية، ولكل منها أحداث ووقائع – لا مجال لذكرها هنا لأنها ليست ميدان البحث .

- منهج طنطاوي في عرض قضايا بني إسرائيل وفق المنهج القرآني

إن القارئ لكتاب الله عز وجل يلمس بوضوح سعة الحديث عن بني إسرائيل ، فلم تكن أمة من الأمم السابقة تناول القران الكريم تفصيل نشأتها وتاريخ تكوينها وبيان أحوالها ودقائق مواقفها ودخائل نفوس أفرادها وخصائص شخصيتها مثل أمة اليهود .

فأول الحديث عن البشر بعد هبوط آدم من الجنة في سورة البقرة يبدأ عن بني إسرائيل ، قال تعالى:

" يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) " البقرة

ويستمر الحديث عنهم في نيف وثمانين آية . واسم هذه السورة هي البقرة وهي بقرة بني إسرائيل، وتأتي السورة الثالثة سورة آل عمران ، وآل عمران أسرة من أسر بني إسرائيل .

والسورة الخامسة هي سورة المائدة وهي المائدة التي طلبها بنو إسرائيل ، وخصصت سورة باسمهم هي سورة الإسراء التي تسمى سورة (بني إسرائيل) وتكرر قصصهم في أكثر من ثلث سور القران ، بسطا وإجمالا وتصريحا وتلميحا ، بل في كل صلاة نقوم بتكرار الالتجاء إلى الله أن لا يسلك بنا سبيلهم وهم (المغضوب عليهم) .

ويعلل د. مصطفى مسلم ذلك بأنه ربما يعود إلى " أن الصراع بين اليهود والمسلمين سيبقى إلى يوم القيامة ، وكلما خمدت جذوة الصراع في منطقة أو في عصر من العصور سيتجدد في مكان آخر وفي أزمنة متلاحقة وفي صور شتى إلى أن تكون الملاحم والمعارك الفاصلة قبيل قيام

الساعة " حتى يقاتل المسلمون اليهود فينادي الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله إن خلفي يهوديا فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود"[1]

وأن قضية الصراع بين اليهود والمسلمين صراع ممتد إلى قيام الساعة وسنة الله في التدافع بين الحضارتين بارزة لا تخفى على من تتبع آيات القران الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2]

وقد تحدث القران الكريم عن بني إسرائيل طويلا في سور كثيرة بلغت خمسين سورة في المرحلة المكية التي لم يكن هناك أي احتكاك بين المسلمين وبين اليهود وفي المرحلة المدنية التي كان فيها لليهود دور كبير في محاولة إطفاء نور الله والقضاء على دعوة الإسلام وعلى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد تميز محمد طنطاوي بعرض قضايا بني إسرائيل في القران الكريم ، وبما يتناسب مع موقع الآيات في السورة القرآنية من حيث مكيتها ومدنيتها ، وأسباب نزولها مع استشهاده بالسيرة النبوية والتاريخ .

ذلك أن حديث القران عنهم يتسم بمنهج دقيق يتناسب مع المراحل الدعوية التي مرت بها دعوة الإسلام ويمكن عرضها بمرحلتين :

١- المرحلة المكية

٢- المرحلة المدنية

المرحلة المكية

عرض القران المكي قضايا اليهود بشكل مفصل يتناسب مع المراحل الدعوية ، وذلك بقصد تكوين الشخصية الإسلامية المتميزة في ضوء انحرافات الأمم السابقة لأخذ العظات والعبر من سيرهم وتجنب ما وقعوا فيه وللتحذير من اليهود الذين سيلتقون بهم وجها لوجه في مرحلة لاحقة ، فكشفت الآيات المكية دخائل نفوس هؤلاء اليهود وأن الخلف منهم على خطى السلف فباءوا بغضب من الله وعلى الرغم من كل ذلك ففي المراحل الأخيرة من القران المكي جاءت التوصية بمجادلة

---

[1] - النيسابوري ، مسلم ، صحيح مسلم ،كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ..الحديث ، رقم الحديث ٢٩٢١، ج٨ ، ص١٨٨ .

[2] - مسلم ، د. مصطفى ، معالم قرآنية في الصراع مع اليهود ، ط٢ ، دمشق : دار القلم ، ص٨-٩

أهل الكتاب بالتي هي أحسن ، واستمر هذا التوجيه في بداية المرحلة المدنية ، فما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس في صلاته إلا لتأليف قلوب اليهود بأمر من ربه جل جلاله.[١]

ولأن بداية الدعوة الإسلامية انطلقت من مكة ، وكان الناس في ذلك الزمان في جاهلية وغوغاء ، فاقتضت الفترة أن تكون إصلاحية ، والدعوة الإصلاحية لا بد أن تمر بمراحل ، وقد ذكر د .مسلم تلك المراحل في كتابه ، وليس مجال دراستنا ذكرها وأُحيل عليه لمن أراد الاستزادة .

المرحلة المدنية

ذكرنا أن المراحل الأخيرة من القران المكي ، جاءت التوصية بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، واستمر هذا التوجيه في بداية المرحلة المدنية وكان توجه الرسول - صلى الله عليه وسلم- إلى بيت المقدس في صلاته لأنه أسرى إليه من المسجد الحرام في مكة .

ثم أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بصوم عاشوراء عندما وجد اليهود يصومونه لأنه اليوم الذي أنجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من فرعون وقومه ، لكسب اليهود إلى جانب الدعوة وعدم المجابهة معهم منذ اللحظات الأولى في المرحلة المدنية ولأن المسلمين أولى بموسى – عليه السلام- من اليهود .

وفي المرحلة المدنية كانت مهام الدعوة إضافة لما كان في المرحلة المكية ، البناءُ والحمايةُ والصيانةُ للمجتمع الإسلامي .

والبناءُ للمجتمع الإسلامي كان بإنزال التشريعات التفصيلية في شؤون الحياة كلها من العبادات والمعاملات البدنية والمالية . وحماية المجتمع كان بمشروعية الجهاد في سبيل الله وما يتعلق به من العهود والمواثيق ، وصيانة المجتمع تكون بتشريع الأحكام المتعلقة بالحدود والقصاص والتعزيزات التي تُقام على أفراد المجتمع الإسلامي عند ارتكابهم ما يهدد أمن المجتمع وسلامته[٢].

والقران الكريم عند ذكره لكل مجال من تلك المجالات كان يذكر اليهود كنموذج منحرف يُخالف كل ما سبق من الأحكام . وهنا أيضا ذكر د. مسلم مراحل هذه الفترة من الدعوة بالتفصيل في كتابه .

---

[1] - مسلم ، د. مصطفى ، معالم قرآنية في الصراع مع اليهود ، ص ٥٥
[2] - مسلم ، د. مصطفى ، معالم قرآنية في الصراع مع اليهود ، ص٥٧-٥٨ باختصار

وكان القران الكريم قد تناول اليهود ومواقفهم وكل ما يخصهم ، فلم يترك شاردة ولا واردة إلا وكشفها ، ليحذر المسلمون منهم على مر الزمان كونهم الصراع الدائم بينهم وبين اليهود ، والمتتبع لتاريخهم ومواقفهم منذ نشأتهم والى الوقت الحاضر يعرف أنهم عنصر الفساد في المجتمع دائما .

وقد عرض الشيخ طنطاوي في كتابه (بنو إسرائيل في الكتاب والسنة) الذي نجد أن جُلّهُ مبثوثاً في تفسيره (التفسير الوسيط) لمنهج القران في عرض تلك الأمور وبطريقة متسلسلة ومرتبة ، فبدأ بذكر الوسائل التي اتبعها القران الكريم في دعوة بني إسرائيل للإسلام وإتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم وكانت كما يلي [1] :

١- إقامة الأدلة لهم على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلك الأدلة هي:

- تنبيههم على أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة وانه هو النبي الذي بشر به عيسى عليه السلام ، وانه هو الذي كانوا يستفتحون به على الذين كفروا

- تنبيههم على أن القران الكريم الذي نزل على - محمد صلى الله عليه وسلم - مصدق للكتب السماوية السابقة

٢- إرشادهم إلى أن ما دعاهم إليه - محمد صلى الله عليه وسلم - يوافق في أُصوله ما دعا إليه الأنبياء

٣- ترغيبهم في إتباع - محمد صلى الله عليه وسلم - بالحكمة والموعظة الحسنة

٤- إنذارهم بالعقوبة العاجلة والآجلة إذا لم يتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم

٥- إعلامهم بأن اختلافهم في الدين سببه البغي والحسد

٦- إخبارهم بأن القران الكريم يقص عليهم الحكم الحق فيما اختلفوا فيه

٧- إقامة الحجة عليهم عن طريق الاستشهاد بهم على صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - .

ثم تحدث محمد طنطاوي عن نعم الله على بني إسرائيل كما عرضها القران الكريم ، ومن هذا الحديث نجد القران يحدثنا عن هذه النعم ، فمرة يذكر لنا تفضيلهم على العالمين ومرة يذكر انجاءهم من عدوهم وأخرى يذكر كثرة الأنبياء فيهم وغيرها من النعم ، ولعل الحكمة من ذلك ليدعوهم إلى

[1] - طنطاوي ، محمد ، بنو إسرائيل في القران والسنة ، ص٨٥

عبادة الله وحده وعدم الإشراك به ، وحتى يقوموا بواجب الشكر لربهم ، فعند شعور الإنسان بنعم الله وتفضله عليه يزيده ذلك إيمانا واستقامة .

ثم بيّن محمد طنطاوي موقف بني إسرائيل منها وهو الجحود والنكران ، وهذا ما نلحظه عند قراءتنا للقران ، فعندما يذكر لنا النعم التي أنعمها الله على بني إسرائيل يعقب القران ذلك بذكر موقفهم الجحودي منها وما ترتب على مواقفهم من عقاب وقصاص عادل يتناسب مع ما اقترفوه من آثام- وليس مجال ذكرها هنا في البحث - فوصف الله تعالى لبني إسرائيل في القران مرّ بثلاث حالات :حالة المن والعطاء ، ثم حالة الجحود والإباء وحالة الانتقام والجزاء ، وذلك ليكون في قصصهم عبرة وعظة .[1]

ومن تلك الآيات التي وردت في هذا الشأن ، ما جاء في سورة البقرة قال تعالى :

"يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُون (٤١) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) " البقرة

يقول طنطاوي في مناسبة هذه الآية : " وبعد أن ذكر القرآن الكريم الناس جميعاً بنعم الله عليهم، ليحملهم بذلك على إخلاص العبادة له ، وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، ومن بين هذه النعم خلق آدم وإظهار فضله على الملائكة ، بعد كل ذلك اتجه إلى تذكير طائفة خاصة من الكافرين المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وهم بنو إسرائيل ، استمالة لقلوبهم نحو الإيمان بالله ، وكسرا لعنادهم ولجاجتهم ، فقال - تعالى – الآية "[2]

وقد عقب الله تعالى هذه الآيات ببيان نعمته عليهم ، نذكرها كما رتبها القران

١- نعمة تفضيل بني إسرائيل على العالمين

قال تعالى : " يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) " البقرة

[1] - طنطاوي ، محمد ، بنو إسرائيل في القران والسنة ، ص٣٢٨
[2] - طنطاوي ،محمد ، التفسير الوسيط ، ج١ ، ص١٠٥

يقول طنطاوي في معنى الآية : "أعاد القرآن الكريم نداءهم ، تأكيداً لتذكيرهم بواجب الشكر ، واهتماماً بمضمون الخطاب وما يشتمل عليه من أوامر ومنهيات ، وتفصيلا لما أسبغه الله عليهم من منن بعد أن أجملها في النداء الأول ، ليكون التذكير أتم والتأثير أشد ، والشكر عليها أرجى .
وقد جرت سنة القرآن الكريم أن يكرر الجمل المشتملة على أمور تستوجب المزيد من العناية كما في حال ذكر النعم ، لأن تكرارها يغري النفوس الكريمة بطاعة مرسلها ، والسير على الطريق القويم "[١]

وحكمة تذكير بني إسرائيل بذلك كما يذكرها طنطاوي : " وقد ذكر الله - تعالى - بني إسرائيل المعاصرين للعهد النبوي بهذه النعم مع أنها كانت لآبائهم . كما يدل عليه سياق الآيات؛ لأن النعم على الآباء نعم على الأبناء لكونهم منهم ، ولأن شرف الأصول يسرى إلى الفروع ، فكان التذكير بتلك النعم فيه شرف لهم ، وحسن سمعة تعود عليهم ، وتغريهم بالإيمان والطاعة - لو كانوا يعقلون- " [٢]

ولأن عادة بني إسرائيل الجحود والطغيان ذكر الله موقفهم وعاقبته ، فقال تعالى :

" سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١) " البقرة

ومن الآيات التي ساقت ألوانا من النعم على بني إسرائيل ، ولكنهم لم يشكروا الله عليها قوله تعالى:

" وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) " الجاثية(١٦- ١٧)

والعبرة التي يستخلصها القارئ لكتاب الله عزّ وجل أن الله تعالى فضّل بني إسرائيل على غيرهم من الأمم السابقة ولكنهم قابلوا ذلك بالتمرد والجحود ، وغير ذلك من الصفات القبيحة التي ذكرها القران الكريم ، وكانت عاقبتهم سوء العذاب ، ليؤكد لنا أن هذا مصير كل أمة بدلت نعمة الله كفرا ، ذلك أن الميزان عند الله تعالى التقوى والعمل الصالح لا الجنس أو اللون أو النسب .

[1] - التفسير الوسيط ، ج١ ، ص١٠٩
[2] - التفسير الوسيط ، ج١ ، ص١١١

والدليل على أن الأفضلية لمن آمن واتقى أن الله عز وجل في كثير من آياته صرح بذلك وأن عاقبة التقوى الجنة والفلاح ، يقول الشنقيطي :

" ذكر - سبحانه - في هذه الآية- من سورة الجاثية - أنه فضل بني إسرائيل على العالمين ، كما ذكر ذلك في آيات أخرى . . ولكن الله - تعالى - بين أن أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - خير من بني إسرائيل ، وأكرم على الله ، كما صرح بذلك في قوله : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } " [1]

١- نعمة انجائهم من عدوهم

ومن تلك الآيات قوله تعالى :" وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١) " الأعراف

يقول طنطاوي في هذه الآية :

" وجعلت النجاة هنا من آل فرعون ولم تجعل منه ، مع أنه هو الآمر بتعذيب بني إسرائيل ، للتنبيه على أن حاشيته وبطانته كانت عونا له على إذاقتهم سوء العذاب ، وفى إنزال ألوان الإذلال بهم . وجعلت الآية الكريمة استحياء النساء عقوبة لبنى إسرائيل - مع أنه في ظاهره نعمة لهم - لأن هذا الإبقاء على النساء كان المقصود منه الاعتداء على أعراضهن ، واستعمالهن في شتى أنواع الخدمة، وإذلالهن بالاسترقاق ، فبقاؤهن كذلك بقاء ذليل؛ وعذاب أليم ، تأباه النفوس الكريمة ، والطباع الحرة الأبية " [2]

٢- نعمة عفو الله تعالى عنهم بعد عبادتهم العجل

قال تعالى : " وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢)" البقرة

ولعل العفو فيه نعمتان نعمة إذهاب العقوبة ونعمة أن يعودوا عن غبائهم قبل أن يفضحهم الله تعالى على ذلك ولكنهم أصروا على الغباء والعناد "وقد تضمنت هاتان الآيتان الكريمتان ما يدل على غباء بني إسرائيل وقصر نظرهم لأنهم اتخذوا العجل إلها بعد أن شاهدوا البراهين على صدق نبيهم "[3]

---

[1] - الشنقيطي ، محمد مختار،أضواء البيان في إيضاح القران بالقران ، الرئاسة العامة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الرياض ، ١٩٨٣ ،

[2] - التفسير الوسيط ، ج ٥ ص ٢٠٥

[3] - طنطاوي ، محمد ، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة ، ص ٣٥٤

٣- نعمة تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم

قال تعالى : " وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ "

وقال تعالى : " وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢) " الأعراف.

فالآيات الكريمة ذكرت بني إسرائيل بنعمة تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم ، ولكن بني إسرائيل لم يشكروا الله تعالى فكانت عاقبتهم أن أرسل عليهم رجزا من السماء بسبب ظلمهم للناس ولأنفسهم وفسقهم .

وبيّن أن الرجزَ من السماء إشعارٌ بأن عذاب الله لا يمكن دفعه وأنه لم يكن له سبب أرضي بل رمتهم به الملائكة من جهة السماء فأُصيب به الذين ظلموا دون غيرهم ، ذلك أنه قال " فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا " وأظهر ذلك الفعل (ظلموا) تأكيدا لوصفهم بأقبح النعوت .[1]

وبعد فهذا طرف من النعم الجليلة وقد ذكر طنطاوي غير تلك النعم التي حباها الله لبني إسرائيل وكيف تناولها القران الكريم ، ولقد كان من الواجب عليهم أن يقابلوها بالشكر ، ولكنهم لم يفعلوا ، وإنما قابلوها بالجحود والبطر ، فكانت نتيجتها أن سلبهم الله تلك النعم وعاقبهم على جحودهم بما يستحقون .

وقد فصّل د. محمد طنطاوي في كتابه (بنو إسرائيل في القران والسنة) وكذلك في ثنايا تفسيره (التفسير الوسيط) الحديث عن تلك الرذائل كما صورها القران الكريم - وليس مجال ذكرها هنا - وسأذكر تلك الرذائل إجمالا، لأشرع ببيان عقوبات الله لهم والتي منها موضوع مبحثنا (إفساد بني إسرائيل في الأرض) .

ومن رذائلهم التي ذكرها القران هي [2] :

١- نقضهم للعهود والمواثيق

[1] - طنطاوي ، محمد ، بنو إسرائيل في القران والسنة ، ص ٣٦٩
[2] - طنطاوي ، محمد ، بنو إسرائيل في القران والسنة ، ص ٣٨٦

٢- سوء أدبهم مع الله تعالى وقتلهم الأنبياء

٣- جحودهم للحق وكراهتهم الخير لغيرهم بدافع الأنانية والحسد

٤- تحايلهم على استحلال محارم الله تعالى

٥- نبذهم لكتاب الله وإتباعهم للسحر والأوهام الشيطانية

وغيرها كثير وأكتفي بهذا القدر، ثم ذكر طنطاوي دعاواهم الباطلة ، ومنها :

١- دعواهم الإيمان بما انزل عليهم . مع أنهم في الحقيقة لم يؤمنوا

٢- دعواهم أن الهدى في إتباع سبيلهم

٣- زعمهم أنه : لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا

٤- بهتهم لمريم ودعواهم قتل عيسى عليه السلام

٥- قولهم : يد الله مغلولة ، وسعيهم في الأرض بالفساد

وقد رد القران الكريم على دعاواهم تلك أحسن الرد وأبلغه وبما يُخرس ألسنتهم ، وإنما ذكرت هذا لأشرع ببيان عقوبات الله لبني إسرائيل كما صورها القران الكريم .

فأما عقوبات الله لهم فكانت كما يلي :

١- تمزيقهم شر ممزق وتسليط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة.

٢- قضاء الله فيهم بسبب إفسادهم في الأرض مرتين.

٣- تحريم بعض الطيبات عليهم جزاء ظلمهم وبغيهم.

٤- المسخ.

٥- سخط الله عليهم ولعنه إياهم .

٦- ضرب الذلة والمسكنة عليهم .

وما يهمنا هنا تفصيل القول في إفساد بني إسرائيل في الأرض .

وقبل ذلك أود أن أُشير إلى قضية هي كيف نجمع بين ما سبق ذكره من فساد بني إسرائيل ورذائلهم ، وبين ذكر الله تعالى لهم في القران بأنه فضلهم على العالمين وهو قوله تعالى :

" يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) " البقرة

وتوجيه الآية أن هذا التفضيل كان بسبب اختيارهم لحمل الرسالة ، فكانت الميزة مقترنة بالقيام بأعباء الرسالة فكانوا في عصرهم مفضلين على الأمم الوثنية لأنهم أتباع الرسل وحملة رسالة التوحيد ولكنهم بعد أن تخلوا عن الرسالة واتبعوا الباطل وقاموا بأشنع الأفعال استحقوا غضب الله ولعنه عليهم[١].

وفي هذا الشأن يقول سيد قطب : " وتفضيل بني إسرائيل على العالمين موقوت بزمان استخلافهم واختيارهم فأما بعد ما عتوا عن أمر ربهم وعصوا أنبيائهم وجحدوا نعمة الله عليهم وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب والذلة والمسكنة وقضى عليهم بالتشريد ، وتذكير الله لهم بهذا التفضيل منه إطماع لهم كي ينتهزوا الفرصة المتاحة على يد الدعوة الإسلامية فيعودوا إلى موكب الإيمان "[٢]

ثانياً : إفساد بني إسرائيل في الأرض كما عرضه الشيخ طنطاوي في تفسيره (التفسير الوسيط) وكتابه (بنو إسرائيل في القران والسنة)

ورد في سورة الإسراء آيات كريمة ذكرت ما توعد الله به بني إسرائيل من عقوبات بسبب إفسادهم في الأرض مرتين ، وقد تعددت آراء العلماء واتجاهاتهم في تحديد هذين الافسادين ، وقد تناول طنطاوي في كتابه هذه القضية بوضع أربعة مقاصد رئيسية هي [٣]:

١- ذكره لتاريخ بني إسرائيل

٢- تفسير الآيات من سورة الإسراء التي عرضت موضوع الإفساد

٣- أقوال المفسرين فيمن سلطه الله عليهم في المرتين وتمحيص الآراء ، وبيان الرأي المختار

---

[1] - مسلم ، مصطفى ، معالم قرآنية في الصراع مع اليهود ، ص١٠٠

[2] - قطب ، سيد ، في ظلال القران ، ج١ ص ٣٧٧

[3] - انظر : طنطاوي ، بنو إسرائيل في القران والسنة ، ص٦٣١ ، لا بد من الإشارة هنا إلى أن التفسير الوسيط قد حوى جُلّ ما كان في كتاب (بنو إسرائيل في الكتاب والسنة) ، مختصرا أو كاملاً .

وقد ذكرت فيما سبق لتاريخ بني إسرائيل موجزا ، وسأقوم بعرض موجز لسورة الإسراء ، ثم عرض رأي الشيخ طنطاوي و آراء العلماء في هذا الموضوع ثم التعقيب عليها مع الترجيح .

- تعريف عام بسورة الإسراء

سورة الإسراء هي السورة السابعة عشرة في ترتيب المصحف ، وتُسمى بسورة بني إسرائيل ، وسورة سبحان ، وهي من السور المكية على رأي جمهور المفسرين [١]، يقول الزركشي:" سورة بني إسرائيل مكية غير قوله تعالى : " وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك" يعنى ثقيفاً " [٢] فيرى أن هذه الآية مدنية . والأصح أن السورة كلها مكية على رأي جمهور المفسرين .

وقد احتوت هذه السورة على العديد من الموضوعات والمقاصد وقد بينها طنطاوي في تمهيده لسورة الإسراء في (التفسير الوسيط) فقال : " إن سورة الإسراء- كغيرها من السور المكية – قد اهتمت اهتماماً بارزاً بتنقية العقيدة من كل ما يشوبها من شرك أو انحراف عن الطريق المستقيم ... كذلك على رأس الموضوعات التي فصلت الحديث عنها شخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد ابتدأت بإسراء الله تعالى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث أراه الله من آياته ما أراه ..."[٣]

ومن تلك المواضيع أيضاً الحديث عن إفساد بني إسرائيل في الأرض . وسأتناول الآن الآيات التي تحدثت عن هذا الإفساد كونها ميدان هذه الدراسة هنا ، وهذه الآيات هي قوله تعالى :

" وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨) " الإسراء (٤-٨)

جاءت الآيات التي تناولت إفساديّ بني إسرائيل في سورة (الإسراء) التي تحدثت في مطلعها عن الحادثة الخالدة والمعجزة الباهرة التي حملت اسمها، " وسورة الإسراء مكية من بدايتها ولنهايتها

[1] - انظر : التفسير الوسيط ، ج٨ ، ص٢٧٤
[2] - الزركشي ، البرهان في علوم القران ، ج١ ، ص ٢١٠
[3] - التفسير الوسيط ، ج٨ ، ص ٢٧٨

دون نظر للأقوال التي لا تستند إلى دليل صحيح ، والتي جعلت بعض آياتها تحمل الطابع المدني"[1]، وتنوعت آراء العلماء في موضوع السورة ومحورها الذي تدور حوله حلقاتها وأشواطها المختلفة، فيرى رائد التناسب القرآني بين الآيات والسور –الإمام البقاعي- أن: "المقصود بها الإقبال على الله وحده، وخلع كل ما سواه ؛ لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور، وتفضيل بعض الخلق على بعض، وذلك هو العمل بالتقوى التي أدناها التوحيد، الذي افتتحت به النحل، وأعلاها الإحسان الذي اختتمت به، وهو الفناء عما سوى الله"[2].

ويرى الأستاذ سيد قطب أن: "محور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسول صلى الله عليه وسلم وموقف القوم منه في مكة، وهو القرآن الذي جاء به، وطبيعة هذا القرآن، وما يهدي إليه، واستقبال القوم له، واستطراد بهذه المناسبة إلى طبيعة الرسالة والرسل، والى امتياز الرسالة المحمدية بطابع غير طابع الخوارق الحسية، وما يتبعها من هلاك المكذبين بها، والى تقرير التبعة الفردية في الهدى والضلال الاعتقادي، والتبعة الجماعية في السلوك العلمي في محيط المجتمع".[3]

ويقول الشيخ محمد طنطاوي " كذلك على رأس الموضوعات التي فصلّت السورة الحديث عنها، شخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد ابتدأت بإسراء الله تعالى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، حيث أراه – سبحانه- من آياته ما أراه ، ثم تحدثت عن طبيعة رسالته ، وعن مزاياه ، وعن موقف المشركين منه ، وعن المطالب المتعنتة التي طلبوها منه ، وعن تثبيت الله تعالى له ، وعن تبشيره بحسن العاقبة " [4]

وما ذكره طنطاوي في تمهيده للسورة ، يدل على تأثره برأي الأستاذ قطب وتفسيره الظلال .

ويرى الأستاذ عبد المتعال الصعيدي أن مقاصد هذه السورة ثلاثة: "أولها: إثبات حادثة الإسراء والمعراج، وثانيها: الموازنة بين كتابي المسجدين -القران والتوراة-، وثالثها: بيان حكمة الإسراء من اختبار الناس به"[5]

رأي الشيخ محمد طنطاوي في هذين الإفسادين :

يقول طنطاوي في تفسير تلك الآيات :

---

[1] - انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت، ٦/١٥.
[2] - البقاعي ، برهان الدين ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م، ٣٢٧/٤.
[3] - قطب ، سيد ، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط١٠، ٢٢٠٨/٤.
[4] - التفسير الوسيط ، ج٨ ، ص ٢٧٨
[5] - الصعيدي ، عبد المتعال ، النظم الفني في القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٢م ص ١٧٦.

" وقوله - سبحانه - :" وَقَضَيْنَآ إلى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكتاب لَتُفْسِدُنَّ فِي الأرض مَرَّتَيْنِ . . . " إخبار من الله - تعالى - لهم ، بما سيكون منهم ، حسب ما وقع في علمه المحيط بكل شيء ، والذي ليس فيه إجبار أو قسر ، وإنما هو صفة انكشافية ، تنبئ عن مآلهم وأحوالهم ...والمراد بالكتاب : التوراة ، وقيل اللوح المحفوظ[١] ، واللام في قوله " لتفسدن " جواب قسم محذوف تقديره : والله لتفسدن " [٢].

" والمعنى : وأخبرنا بني إسرائيل في كتابهم التوراة خبراً مؤكدا : وأوحينا إليهم بواسطة رسلنا ، بأن قلنا لهم : لتفسدن في الأرض مرتين ، ولتستكبرن على الناس بغير حق ، استكبارا كبيرا ، يؤدي بكم إلى الخسران والدمار ، والتعبير عما يكون منهم من إفساد بالقضاء وأنه في الكتاب ، يدل على ثبوته ، إذ أصل القضاء - كما يقول القرطبي - الإحكام للشيء والفراغ منه .
وأكد إفسادهم واستعلاءهم بلام القسم ، للإشعار بأنه مع ثبوته ووجوده فهو مصحوب بالتجبر والتكبر والبغي والعدوان "[٣]

ثم بيّن - سبحانه - أنه يسلط عليهم بعد إفسادهم الأول في الأرض ، من يقهرهم ويستبيح حرماتهم، ويدمرهم تدميرا ، قال الآلوسي : " واختلف في تعيين هؤلاء العباد - الذين بعثهم الله لمعاقبة بني إسرائيل بعد إفسادهم الأول - فعن ابن عباس وقتادة : هم جالوت وجنوده ، وقال ابن جبير وابن إسحاق: هم سنجاريب ملك بابل وجنوده . وقيل : هم العمالقة ، وقيل : بختنصر"[٤].

ثم بيّن الله تعالى أنه ينصرهم على أعدائهم ، ويمدهم بالمال والبنين بعد أن يجتهدوا في إصلاح ما كان منهم من فساد في المرة الأولى ،فقال تعالى : " ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا " الإسراء : ٦

ثم بيّن أنه سيكون منهم إفساد كبير في الأرض مرة ثانية ، وأنه سيسلط عليهم من يقهرهم ويذلهم بسبب هذا العصيان والتمرد فقال تعالى " فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا"

---

[1] - وهو الأصح لأنه يشمل جميع الكتب ، ولان الفعل الماضي (قضينا) يدل على ذلك .
[2] - التفسير الوسيط ، ج ٨ ص ٢٩٠
[3] - المرجع السابق ج٨ ص ٢٩٠
[4] - الالوسي، شهاب الدين محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دارالفكر للطباعة والنشر، بيروت، طبعة عام ١٩٩٤م.١٥ / ١٧

وقد عرض طنطاوي لرأيه في المسألة عرضه لعدة مقدمات تدعم رأيه ثم قال " أن العباد الذين سلطهم الله على بني إسرائيل إفسادهم الأول في الأرض ، هم جالوت وجنوده "[١]، وقد استند في اختياره لهذا الرأي إلى عدة أمور سأذكرها بعد عرض آراء العلماء في هذه المسألة

أقوال المفسرين فيمن سلطهم الله عليهم

عرض المفسرون قديما وحديثا إلى هذه الآيات التي تناولت إفساد بني إسرائيل، وتعددت الآراء وطالت، حتى قال فيها ابن كثير (٧٧٤هـ): "وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم مَنْ هم"[٢] وقد نقل الشيخ حسنين محمد مخلوف عن الجبائي قوله: " انه تعالى لم يبين ذلك فلا يقطع فيه بخبر".[٣]

فالطبري (٣١٠ هـ) شيخ المفسرين وإمامهم ، يرى عند تفسيره للآيات نقلا عن ابن عباس : " عن ابن عباس: أول الإفسادين: قتل زكريا، فبعث الله عليهم بختنصر فنكّل بهم، وأما على قول ابن إسحاق فكان إفسادهم المرة الأولى: ما وُصف من قتلهم شعياء بن أمصيا نبي الله، وأن بختنصر هو الذي سلط على بني إسرائيل بعد قتلهم شعياء، وقيل سنجاريب، وقيل جالوت وقيل غير ذلك.

وأما إفسادهم في الأرض المرة الآخرة فقال عنها شيخ المفسرين: "وأما إفسادهم في الأرض المرة الآخرة، فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا، وقد اختلفوا في الذي سلّطه الله عليهم منتقماً به منهم عند ذلك، وأنا ذاكر اختلافهم في ذلك إن شاء الله"[٤] وذكر بعض الروايات التي بينت أن الله سلط عليهم في الثانية بختنصر البابلي المجوسي، وقيل خردوس من ملوك بابل.[٥]

وأما الزمخشري (٥٣٨ هـ) فقد ذكر بإيجاز روايات الإمام الطبري دون أن يرجح قولاً على قول[٦] وكذلك فعل الطبرسي (٥٣٨ هـ)[٧] .

وأما ابن عطية الأندلسي (٥٤١ هـ) فقد ذكر ذات الأقوال موجزة وإنْ قدم عليها قوله:"ومقتضى هذه الآيات أن الله تعالى أعلم بني إسرائيل في التوراة أنه سيقع فيهم عصيان

---

[1] - طنطاوي ، محمد ، بنو إسرائيل في القران والسنة ، ص ٦٤٦

[2] . تفسير ابن كثير، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ٢٦/٣.

[3] . مخلوف ، محمد حسنين ، صفوة البيان لمعاني القرآن، دار الفكر، بلا طبعة وتاريخ، ٤٥٠/١.

[4] - مخلوف ، محمد حسنين ، صفوة البيان لمعاني القران ، ٦ / ٥١٠٤.

[5] - الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القران ، تحقيق: أحمد البكري ومجموعة من العلماء، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م، ٥٠٩٧/٦ – ٥١٢٣.

[6]- انظر الزمخشري ، جار الله ، الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٢، ٢٠٠١م، ٦٠٧/٢ – ٦٠٨.

[7] - انظر:الطبرسي ، ابو الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة التاريخ العربي ودار احياء التراث، بيروت، ط٣، ٢٠٠٥، ٥١٦/٦ – ٥١٧.

وطغيان، وكفر لنعم الله تعالى، عندهم في الرسل والكتب، وغير ذلك، وأنه سيرسل عليهم أمة تغلبهم وتقتلهم وتذلهم، ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكرة ويردهم إلى حالهم الأول من الظهور، فتقع فيهم المعاصي وكفر النعم والظلم والقتل الكفر بالله من بعضهم، فيبعث الله عليهم أمة أخرى تخرب ديارهم وتقتلهم وتجليهم جلاء مبرماً، وأعطى الوجود بعد ذلك هذا الأمر كله".[١]

وكذلك فعل الإمام الرازي (٦٠٦ هـ) حيث ذكر الأقوال السابقة موجزة ولكنه عقب قائلاً:"وأعلم أنه لا يتعلق كثير غرض في معرفة أولئك الأقوام بأعيانهم، بل المقصود هو أنهم لما أكثروا من المعاصي سلّط الله عليهم أقواما قتلوهم "[٢] وكذلك نقل البيضاوي (٦٩١ هـ) ذات الأقوال السابقة[٣] وأيضاً أبو حيان الأندلسي (٧٥٤ هـ)[٤].

وقد أشار ابن كثير (٧٧٤ هـ) إلى بعض هذه الأخبار، ولكنَّ هذا الحافظ لم يفته أن يقرر قائلاً:"وقد ورد في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها، لان منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً، ونحن في غنية عنها ولله الحمد، وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله، ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم، وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم، وسلك خلال بيوتهم، وأذلهم وقهرهم، جزاء وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء" [٥] .

ولعل في كلام ابن كثير عظيم فائدة ، وقد جاء ليُغلق فيه باب رواية الإسرائيليات على كل من أتى بعده ذلك أن الروايات الإسرائيلية لا تسمن ولا تغني من جوع ولا حاجة لنا بها ، ولا عذر لمن شغل نفسه بها من المفسرين .

وأوجز أبو السعود(٩٨٢ هـ) في ذكر الأقوال التي ذكرها شيخ المفسرين – الطبري - ولم يعقب عليها.[٦].

---

[1] - ابن عطية، محمد عبد الحق الاندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت ط١، ٢٠٠٢م ص ١١٢٨ –١١٣٠.

[2] - الرازي ،فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون طبعة وتاريخ، ١٢٧/٢٠

[3] - انظر: البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) دار الجيل، بيروت، دون طبعة وتاريخ، ص٣٧١.

[4] - انظر:الأندلسي ، محمد ، البحر المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م، ١٢/٧-١٧.

[5] - تفسير ابن كثير، ٢٦/٣.

[6] - انظر: أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، إرشاد العقل السليم (تفسير أبي السعود)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ١١١/٤ – ١١٣.

وكذلك فعل ابن عجيبة (١٢٢٤ هـ)[1] والشوكاني (١٢٥٠ هـ)[2] الذي علق بعدها قائلاً: "واعلم أنها قد اختلفت الروايات في تعيين الواقع منهم في المرتين، وفي تعيين من سلّطه الله عليهم، وفي كيفية الانتقام منهم، ولا يتعلق بذلك كثير فائدة"[3].

ونقل الإمام الآلوسي (١٢٧٠ هـ) هذه الأقوال المختلفة في المراد بالإفسادين[4] وعقب قائلاً: "وتفصيل الكلام في ذلك -في كتبهم والله تعالى أعلم بحقيقة الحال- ونعم ما قيل: إن معرفة الأقوام المبعوثين بأعيانهم وتاريخ البعث ونحوه مما لا يتعلق به كبير غرض، إذ المقصود أنه لما كثرت معاصيهم سلط الله تعالى عليهم من ينتقم منهم مرة بعد أخرى".[5]

وبهذا يتبين أن " المفسرين القدامى قد اتفقوا على أن الإفسادين قد حدثا فعلاً في تاريخ بني إسرائيل القديم، ولا يحكيان تاريخاً مستقبلياً، وإن تباينت آراؤهم في تعيين الواقع منهم في المرتين وفيمن سلطه الله عليهم. لكن تنوعت اتجاهاتهم في الاعتماد على الروايات المطولة "[6] ، فمنهم من أطال ومنهم من أختصر ومنهم من ذكر دون نقد أو ترجيح ومنهم من نقد ورجح .

أما المفسرون المحدثون فقد تنوعت اتجاهاتهم في النظر إلى إفساد بني إسرائيل في الأرض، وفيمن سلطهم الله على بني إسرائيل، وفي هذا الميدان يتساءل د. فضل عباس : " ونعجب أن يختلف المفسرون ، وبخاصة المحدثين منهم حول تفسير هذه الآيات ، فلقد احتوت كتب التفسير على أقوال كثيرة في بيان هاتين المرتين ، وننبه هنا إلى أن أي تفسير لكتاب الله جدير بالقبول ، حريٌّ بالأخذ ، لابد أن يكون منسجما مع السياق أولا ، متفقا مع اللغة ثانيا ، غير مخالف للمأثور الصحيح ثالثا ، والأقوال التي ذكرت في كتب التفسير رغم أنها لا تستند إلى أي دليل من الأثر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها مع هذا غير منسجمة مع السياق أولا وأخرا "[7]

وأهم اتجاهات العلماء المحدثين في فهم هذين الإفسادين :

الاتجاه الأول: وهم جمهور المفسرين المحدثين الذين ساروا على طريقة المفسرين القدامى في ذكر روايات الطبري آنفة الذكر، والاقتصار عليها دون تعليق أو إضافة، ومن العلماء الذين نحوا هذا

---

[1] - انظر: ابن عجيبة ، أبو العباس احمد بن محمد بن المهدوي البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ٧٧/٤.
[2] - انظر: الشوكاني، محمد بن علي ، فتح القدير، دار إحياء التراث العربي، بدون طبعة وتاريخ، ٢٠٩/٣ – ٢١١.
[3] - الشوكاني ، محمد علي ، فتح القدير ، ٣ / ٢١١.
[4] - انظر: الالوسي، شهاب الدين محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٩/ ٢٣ – ٣١.
[5] - الآلوسي ، شهاب الدين ، روح المعاني ، ٣١/٩.
[6] - النصيرات ، د. جهاد ، بحث بعنوان : أثر الواقع في اختلاف فهم النص القرآني عند المفسرين ، ص ١١
[7] - عباس ، د. فضل ، المنهاج نفحات من الإسراء والمعراج ، عمان :دار البشير، ١٩٨٧م، ص١١٧

الاتجاه ، الشيخ طنطاوي جوهري (١٩٤٠م) فــي (الجواهر)[1] والطباطبائي في (الميزان)[2] والسعدي في (تيسير الكريم الرحمن)[3] ومحمد فريد وجدي في (المصحف المفسر)[4] ود. محمد عبد المنعم الجمال في (التفسير الفريد)[5] والشيخ محمد بدر الدين بن الملا درويش في (أبدع البيان)[6] والميرغني في (تاج التفاسير)[7] وأبو بكر الجزائري في (أيسر التفاسير)[8] وعامر الشريف في (أيسر التفاسير)[9] و أ.د وهبة الزحيلي في (التفسير الوسيط)[10] و(التفسير المنير)[11] والشيخ فيصل آل مبارك في (توفيق الرحمن)[12] و د. شوقي ضيف في (الوجيز)[13] والصابوني في (قبس من نور القرآن الكريم)[14] والشيخ حسنين محمد مخلوف في (صفوة البيان)[15] ومحمد الطاهر ابن عاشور في (التحرير والتنوير)[16]. ولعل العذر في ذلك أن أغلب هذه التفاسير مختصرة ومجملة.

الاتجاه الثاني:أصحاب هذا الاتجاه ذكروا الأقوال التي نقلت في كتاب الطبري والكتب المقدسة، ولكنهم علقوا بأن هذه الروايات لا يعتّد بها كثيراً وأنّ العبرة بالغرض الذي من أجله سيقت الآيات ومن هؤلاء العلماء:

---

[1] - انظر: جوهري، الشيخ طنطاوي ، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المكتبة الإسلامية، ط ٣، ١٩٧٤م،٥/٩.

[2] - انظر: الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٧٢، ٤٣/١٣.

[3] - انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير علوم المنان، حققه وضبطه ونسقه محمد زهري النجار، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، ٧٠/٣.

[4] - انظر: وجدي، محمد فريد ، المصحف المفسر، مطابع الشعب، بدون طبعة وتاريخ، ٣٦٤/٤ - ٣٦٥.

[5] - انظر: الجمال، د. محمد عبد المنعم ، التفسير الفريد للقران المجيد، بدون طبعة وتاريخ، ١٧١٤/٥ ــ ١٧١٥.

[6] - انظر: الملا درويش، أبو البركات الشيخ محمد بدر الدين التلوي أبدع البيان لجميع آي القرآن، دار النيل، ط١، ١٩٩٢ م ص ٢٩٢.

[7] - انظر: الميرغني، محمد عثمان ، تاج التفاسير، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، القاهرة طبعة عام ١٣٩٢ هـ، ٥٣٨/١ ــ ٥٣٩.

[8] - الجزائري، أبو بكر ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير، مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٧٩٠-٧٩٢.

[9] - محمود، د. اسعد، أيسر التفاسير، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص٢٧٤.

[10] - الزحيلي، أ.د.وهبة ، التفسير الوسيط، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م، ١٣٢٦/٢-١٣٢٨.

[11] . انظر: الزحيلي ،أ.د.وهبة ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر ببيروت ودمشق، ط ١، ١٩٩١م ١٥/ ٢٢ ــ ٢٤.

[12] . انظر: آل مبارك، الشيخ فيصل بن عبد العزيز، توفيق الرحمن في دروس القرآن، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبدا لعزيز بن عبد الله بن إبراهيم، دار العليان، ودار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٩٩٦، ٦٠٩/٢-٦١٠.

[13] - انظر: ضيف، د.شوقي ،الوجيز في تفسير القرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ، ص ٤٦٧-٤٦٨.

[14] - الصابوني، الشيخ محمد علي ، قبس من نور القرآن الكريم، دراسة تحليلية، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م،١٨١/٦-١٨٤.

[15] - مخلوف، الشيخ حسنين محمد، صفوة البيان لمعاني القرآن، دار الفكر، بدون طبعة وتاريخ، ٤٥٠/١.

[16] - انظر: عاشور، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، بدون طبعة وتاريخ، ٢٨/١٥-٣٨.

المراغي في تفسيره[1] الذي ذكر الروايات ثم قال: "وعلى الجملة فمعرفة من بعث إليهم بأعيانهم وتواريخ البعوث مما لا يتعلق به غرض كبير، لأن المراد انه كلما كثرت معاصيهم سلط الله عليهم من ينتقم منهم مرة بعد أخرى"[2]، والقاسمي في (محاسن التأويل)[3] الذي ذكر الروايات وعقب بعدها قائلاً: "وتفصيل هذه المجريات معروفة في كتب التاريخ، ونحن لم نورد ما أوردناه على انه تفسير للآية؛ لأنها بإيجازها غنية عنه، وفي تفسيرنا لألفاظها كفاية في فهمها، إلا أن أكثر المفسرين تطرقوا لبعض مجريات اليهود هنا، فنقحنا منها أحسن ما حرره المؤرخون المتأخرون إيضاحا لأفاعيلهم التي أشارت إليها الآيات الكريمة،[4] وبمثل هذا الكلام قال د. محمد محمود حجازي في (التفسير الواضح)[5] وكذلك فعل محمد عزة دروزة في (التفسير الحديث)[6] الذي عقب قائلاً: "ومهما يكن من أمر فالمتبادر أن الآيات لا تستهدف بيان الأحداث التاريخية لذاتها، وإنما تقصد إلى تعليل ما وقع على بني إسرائيل وتقرير السنن الاجتماعية فيهم؛ ليكون فيها العبرة والمثل للناس جميعهم على اختلاف الأزمنة والأمكنة"[7] وكذلك فعل الشيخ كشك[8] الذي قال بعد ذكر الروايات: "وعلى الجملة فمعرفة من بعث إليهم بأعيانهم وتواريخ البعوث مما لا يتعلق به غرض كبير؛ لان المراد انه كلما كثرت معاصيهم سلط الله عليهم من ينتقم منهم مرة بعد أخرى"[9] وكذلك فعل د. عبد الله شحاته في (تفسير القرآن الكريم)[10]، وسماحة السيد محمد حسين فضل الله في (من وحي القرآن)[11]، و د. محمد سيد طنطاوي – ميدان الدراسة - الذي أسهب في عرضه[12]، وردَّ على من يدّعي أن الإفسادين كانا في الإسلام وليسا في تاريخ بني إسرائيل القديم[13]، ، ثم قال بعد ذلك: "ومع ترجيحنا بأن المسلط عليهم في المرة الأولى هم جالوت وجنوده، وفي المرة الثانية هم الرومان بقيادة تيطس،

1- انظر: المراغي، احمد مصطفى ، تفسير المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة وتاريخ ١٥/١٤-١٦.
2- المراغي ، احمد ، تفسير المراغي ، ١٥/١٥
3- انظر: القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م . ٢٥٩٦/٦-٢٥٩٧.
4- القاسمي ، محمد ، محاسن التأويل ، ٢٥٩٨/٦.
5- انظر: حجازي،محمد محمود، التفسير الواضح، دار التفسير للطباعة والنشر، مصر، الزقازيق، ط١٠، ١٩٩٢، ٣٥٤/٢-٣٥٦.
6- انظر: دروزة، محمد عزة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، طبعة عام ١٩٦٢، ٢٢٠/٣-٢٢١.
7- دروزة ، محمد ، التفسير الحديث ، ٢٢١/٣.
8- انظر: كشك، الشيخ عبد الحميد ، في رحاب التفسير، المكتب المصري الحديث، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ ٢١٢٧/٣-٢١٢٨
9- كشك ، عبد الحميد ، في رحاب التفسير ، ٢١٢٨/٣.
10- انظر: شحاته، د.عبد الله ، تفسير القرآن الكريم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ ٢٨٠١/٨-٢٨٠٧.
11- انظر: فضل الله، السيد محمد حسين ، من وحي القرآن، دار الملاك، بيروت، ط٢. ١٩٩٨م ٣٦/١٤-٣٨.
12- انظر: طنطاوي، محمد سيد ، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، دار حراء، القاهرة، ط١، ١٩٦٩م، ٣٥٩/٢-٣٧٢. وانظر: لذات المؤلف، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مدينة السادس من أكتوبر، ١٩٩٨م، ٢٩٧/٨-٣٠٢.
13- طنطاوي ، محمد ، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة ، ٣٧٣/٢-٣٩٦.

مع ترجيحنا لذلك، إلا أننا نعود فنكرر أن المقصود من الآيات الكريمة إنما هو بيان سنة من سنن الله الكونية في الأمم حال صلاحها وفسادها".[١]

الاتجاه الثالث: وأصحاب هذا الاتجاه لم يعبأوا بالروايات المطولة في تفسير الآيات، وإنما فسروها على ظاهرها وعمومها، وعلى رأسهم الأستاذ سيد قطب الذي قال: "ولا ينص القرآن على جنسية هؤلاء الذين سلطهم الله على بني إسرائيل؛ لان النص عليها لا يزيد في العبرة شيئا، والعبرة هي المطلوبة وبيان سنة الله في الخلق هو المقصود... ولقد عاد بنو إسرائيل اليوم إلى الإفساد وفي صورة (إسرائيل) التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات، وليسلطن الله، عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقاً لوعد الله القاطع، وفاقاً لسنته التي لا تتخلف، وان غداً لناظره لقريب" [٢] وكذلك فعل الشيخ الشنقيطي الذي فسّر الآيات على عمومها ثم قال: "وتركنا بسط قصة الذين سُلطوا عليهم في المرتين؛ لأنها أخبار إسرائيلية وهي مشهورة في كتب التفسير والتاريخ".[٣]

الاتجاه الرابع: أصحاب هذا الاتجاه يرون أن الإفسادين المتحدث عنهما حدثا من بني إسرائيل بعد الإسلام وليس قبله، فالإفساد الأول هو ما حدث منهم في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- والإفساد الثاني هو ما يحدث منهم في فلسطين الآن، ولعل من أوائل هؤلاء العلماء الذين تبنوا هذا الرأي الأستاذ عبد المعز عبد الستار في مقال له في مجلة الأزهر عام ١٣٧٦ هـ تحت عنوان: (سورة الإسراء تقص نهاية بني إسرائيل) ومما جاء في هذا المقال نقلا عن بحث للدكتور جهاد النصيرات[٤]: "والذي يعنيني أن اكشف عنه وان أثبته في هذا البحث أمران:

الأول : أن هاتين المرتين لم تكونا قبل البعثة وإنما هما في الإسلام.

الثاني: أن المرة الأول كانت على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه، والآخرة هي التي نحن فيها الآن والتي ستسوء وجوههم وندخل المسجد كما دخلناه أول مرة، وندمر فيها ما علو تدميرا... وإلا فهم افسدوا من قبل سبعين مرة... و﴿وعد أولاهما﴾ لا تنطبق تمام الانطباق إلا على الدور الذي قاموا به على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما عاقبهم الله به، وسلط عليهم فيه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً) فقد رُدَّت لليهود الكرة علينا بعد ألف وثلاثمائة ونيف وسبعين سنة من

---

[1]- طنطاوي ، محمد ، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة ، ٣٧٢/٢ .
[2]- قطب ، سيد ، في ظلال القرآن، 2214/٤.
[3]- الشنقيطي، محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القران بالقرآن، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٩٨٣، ٤٠٧/٣-٤٠٨.
[4] - النصيرات ، د. جهاد محمد ، بحث بعنوان : أثر الواقع في اختلاف فهم النص القرآني عند المفسرين ، ص١٥

تأديب الله لهم، منذ أن بعث الله عليهم عباده المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاسوا خلال الديار بعد هذه المرة التي أشار الله سبحانه وتعالى لطولها بقوله: (ثم) التي تقتضي في العطف تراخياً في الأجل، ورُدت اليهود الكرة وأمدوا بثلاث ما أمدوا بمثلها في تاريخهم:

١- بأموال تتدفق عليهم من أقطار الأرض على ما أرادوا من صعبه أو سهله.

٢- بنين مهاجرين ومقاتلين يُنتخبون انتخابا لحماسهم وصلاحيتهم لبناء دولتهم.

٣- وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾ : ولم يكن اليهود في يوم من الأيام أكثر نفيرا وناصرا منهم اليوم، وقوله: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ فقد قرر أنها فرصة لهم ليختاروا لأنفسهم وليرسموا نهايتهم، ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾.

٤- فإذا جاء وعد الآخرة سلطنا عليكم عبادنا الأولين الذين دخلوا المسجد ﴿ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ بما ترون من مصارعكم ومصارع أمانيكم وأحلامكم ودولتكم..... وقد قرر سبحانه انه سيجمعهم ألفافاً ليبيدهم فقال: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ﴾ الإسراء/١٠٤.

وقد وافق رأي الأستاذ عبد المعز عبد الستار الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس [1]

ولم يستبعد الأستاذ سعيد حوى أن تكون الإفسادة الثانية هي ما نراه الآن فقال: ".. ويمكن أن نفهم المسألة فهماً أخر بأن نعتبر الإفساد الأول هو محاولاتهم الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية، وتسليط الله المسلمين عليهم وعلى ديارهم حول المدينة المنورة، والإفسادة الثانية هي الإفسادة الحالية فيكون معنى الآيات: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ أي في القرآن ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾ أي لتطغن طغياناً كبيراً﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا ﴾ أي الإفسادة الأولى ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا ﴾ هم الصحابة ﴿ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ ﴾ أي سيطروا عليها سيطرة تامة ﴿ وَعْداً مَفْعُولاً ثُمَّ ﴾ بعد مئات السنين ﴿ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ على المسلمين بأن جعلنا لكم الغلبة ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾ كما هم الآن فهم أغنياء ويستطيعون استنفار العالم ضدنا ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ ﴾ بالدخول في الإسلام ومتابعة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ أَحْسَنتُمْ لأنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ ﴾ برفض الإسلام ﴿ فَلَهَا﴾ فنفع أعمالكم عائد عليكم ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ أي فإذا جاء وعد الإفسادة الآخرة ليسوء المسلمون وجوهكم ﴿

[1]. عباس ، د. فضل ، المنهاج نفحات من الإسراء والمعراج ، عمان :دار البشير، ١٩٨٧م، ص١١٧

وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ أي الأقصى مستردينه منكم ﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ كما أخذوه الأخذ الأول يوم فتح القدس عمر ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا﴾ وليهلكوا في علوهم ﴿ تَتْبِيراً﴾ أي إهلاكا ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ﴾ بأن يجعلكم مسلمين ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى الإفساد في الأرض ﴿ عُدْنَا﴾ إلى التسليط عليكم كما سيفعل الله يوم يأتون مع جند الدجال ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ أي سجنا.

وفي قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ ما يقوي هذا الاتجاه في الفهم؛ لان الآية تشير إلى أنهم كافرون، ولا نحكم بكفرهم إلا بعد رفضهم رسالة المسيح ثم محمد – صلى الله عليه وسلم– فالإفسادتان متأخرتان على بعثة المسيح وهذا الاتجاه يقويه أن كلمة ﴿ عِبَاداً لَنَا﴾ تشعر بأنهم المسلمون فهم العباد الحقيقيون لله وكلمة (وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ) تشعر بأنهم المسلمون من أصحاب المسجد، وهم وان لم يأخذوه من اليهود مباشرة فقد أخذوه ودخلوه المرة الأولى فاتحين..... أننا نرجح أن التفسير الصحيح لقوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي: بعد موسى ﴿ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ ﴾ كل الأرض متفرقين ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ أي: جميعا إلى فلسطين وان هذا النص يحدد أن الإفسادة الآخرة بعد تفرقهم في الأرض كلها ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً ﴾ وأما الإفسادة الأولى فتكون قبل ذلك، ومن المعلوم إن التشتيت الشامل على وجه الأرض لبني إسرائيل إنما كان بعد عودتهم من سبى بابل، فيكون التسليط الأول هو تسليط بختنصر، والتسليط الثاني هو الذي يتوقع الآن بدليل العلو والإفساد"[١].

ولم يستبعد د. محمد سليمان الأشقر أن تكون ثاني مرتي الإفساد هي هذه التي نحياها في هذا العصر وإن نقل الأقوال الأخرى المشتهرة[٢].

البهي الخولي في كتابه (بنو إسرائيل في ميزان القران) يرى أن الإفساد الأول لبني إسرائيل كان ما اقترفوه من أعمال شنيعة من بعد موسى عليه السلام وإلى غزو بختنصر ، أما الإفساد الثاني من بني إسرائيل كانت في عهد طيطس الروماني [٣].

أما خليل حسن جابر في كتابه (بنو إسرائيل والإفساد : الأول والثاني والثالث ونهايتهم على أيدي أصحاب مملكة المسلمين) فالواضح من كتابه أنه يرى أن هناك ثلاث إفسادات لبني إسرائيل هي [٤]:

---

1. انظر:حوى ، سعيد ، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٥ ٣٠٣٦/٦-٣٠٤٤.

2. انظر: الأشقر، د. محمد سليمان عبد الله، زبدة التفسير، دار النفائس للنشر والتوزيع، العبدلي، ط١، ٢٠٠٢م ص ٢٨٢.

3 - الخولي ، البهي ، بنو إسرائيل في ميزان القران ، ص٢١٢

4 - جابر ، خليل حسن ،بنو إسرائيل والإفساد : الأول والثاني والثالث ونهايتهم على أيدي مملكة المسلمين الأبدية ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٣م ، ص١٤٥-١٤٦

الإفساد الأول : ما وقع منهم من إفساد بعد العام الذي مات فيه سليمان عليه السلام وهو العام ٩٣٣ ق م إلى العام الذي استحقوا فيه عقاب الله وهو العام ٦٠٦ ق.م بتسليط الله نبوخذ نصر (بختنصر) عليهم وسبيهم إلى بابل (العراق) ومدة هذا الإفساد ٣٢٧عاما .

الإفساد الثاني : ما وقع منهم بعد أن اكتملت عودتهم من بابل إلى أورشليم (القدس) والتي استغرقت مراحلها ١٠٤ سنوات إلى العام الذي استحقوا فيه عقاب الله وهو العام ٧٠م بتسليط الله تيطس الروماني عليهم وتشتيتهم في دول العالم القديم – أسيا وأوروبا وإفريقيا- ودول العالم الجديد – الأمريكيتان – ومدة هذا الإفساد ٥٧٢عاما .

الإفساد الثالث : ما وقع منهم في الفترة ما بين(٧٠م-القرن الحادي والعشرين) أي من بعد العام الذي شتتهم فيه تيطس الروماني وحتى يومنا هذا ، ومدته ألفا عام ، وقد بلغ هذا الإفساد ذروته بعد عودتهم إلى فلسطين عام ١٩٤٨م .

وقد قام الكاتب بشرح هذه الإفسادات بالتفصيل في كتابه .

وبذلك يتبين أن المفسرين ومن كتب في هذه الآيات في العصر الحديث قد تنوعت اتجاهاتهم وتعددت آراؤهم وذلك من خلال تعاملهم مع الواقع المعيش، من إفساد بني إسرائيل الذي جعل منهم سادة للدنيا بما سيطروا عليه من وسائل النفوذ، ومن خلال إقامتهم عاصمتهم المزعومة في قلب العالم الإسلامي، بحيث ظهرت ظلال جرائمهم في ترجيحات المفسرين على ضوء هذا الواقع المؤلم.

الترجيح والموازنة بين الآراء

وللجمع بين الأقوال والموازنة بينها والترجيح لابد من تقرير ما يلي :

في آيات سورة الإسراء ذكر الله تعالى " لتفسدن في الأرض مرتين " وهنا نتساءل هل العدد (مرتين) مقصود في الآية ، علماً أننا نجدُ الكثيرَ من الآيات تذكر أعدادا وليس بالضرورة تقصدها . وعند عرضنا السابق لأقوال المفسرين نجد أن جُلّهم انشغل بظاهر الآية في تحديد هاتين المرتين من الإفساد ، وقليل منهم عدّ وجوهاً للإفساد غير الإفسادين الظاهرين من الآية .

ودليل القول بذلك أنه في قوله تعالى " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ"القصص :٥٢-٥٤

فهل كان العدد (مرتين) مقصوداً في الآية ؟ ومثل ذلك نقوله في الآيات الأخرى ،كقوله تعالى " يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً " الأحزاب:٣٠_٣١

وقوله تعالى : " وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ " التوبة: ١٠١

وقوله تعالى :" وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ "التوبة:١٢٥-١٢٦

فهل حقيقة العدد (مرتين) في الأجر أو العذاب مقصودة في الآيات أم قصد بها الله تعالى الكثرة؟ وكذلك في الآيات من سورة الملك ، وهي قوله تعالى " الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ " الملك: ٣ _ ٤

فهل هما كرّتان فقط أم إنها كرّة بعدها كرّة وهكذا؟ ومن المعلوم أن آيات سورة الإسراء ذكرت (أولهما) و (أخراهما) ولم يقل (ثانيتهما) .

وما يهمنا هنا مناقشة ما قاله الدكتور محمد طنطاوي ، ومعرفة كيفية عرضه لهذا الموضوع ، حيث يقول :

" الإفساد في الأرض قد حدث من بني إسرائيل كثيراً ، والمقصود من قوله تعالى " وقضينا إلى بني إسرائيل لتفسدن في الأرض مرتين " إنما هو اظهر مرتين حدث فيهما الإفساد منهم ، ومما يدل على أن هذا الإفساد قد تكرر منهم ، وأنهم عُوقبوا عقب كل مرة ، قوله تعالى بعد ذلك " وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا " كذلك مما يدل على أن التسليط عليهم مستمر إلى يوم القيامة بسبب كفرهم وفسوقهم قوله تعالى " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ "[1]

ويرد على هذا القول وما شابهه د. جهاد النصيرات إذ يقول :

" فالذي يبدو ـ والله تعالى أعلم وأحكم ـ أننا في حل من تقييد أنفسنا بحقيقة العدد (مرتين) فقد لا يكون لهذا العدد حصر أو مفهوم، وإنما هو للدلالة على تكرر إفسادهم عبر التاريخ، وبالتالي فما

[1] ـ طنطاوي ، محمد ، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة ، ص ٦٤٥

ذكره المفسرون من إفسادهم إنما هو على سبيل التمثيل لا الحصر، وإن كنت أرى أن المرة الأولى التي تعنينا هي ما وقع منهم في الإسلام مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المدينة وأن فسادهم تكرر بعد ذلك في الفتنة السوداء وفي غزوهم الفكري على التراث الحضاري العلمي من خلال مروياتهم الفاسدة، ومن خلال كل فتنة ألبوها على الدولة الإسلامية عبر التاريخ، كما لا يخفى دورهم في سقوط الخلافة الإسلامية، وفي (بروتوكولاتهم) التي تسعى لتدمير القيم والأخلاق في العالم بأسره، وفي فسادهم الأخير الذي لن يتلوه فساد ـ إن شاء الله ـ في قيام دولتهم المشؤومة في قلب العالم الإسلامي، ولذلك فأن ما تفضل به الأساتذة عبد المعز عبد الستار والأديب عبد الحميد جودة السحار، وما أفاض به الأستاذ سعيد حوى ـ في البداية ـ وحمل الآيات عليه حملاً متسقاً تماماً مع سياق وسباق الآيات، ويتفق الباحث أيضا مع استدلالات وتوجيهات الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس للآيات؛ لان هذه التوجيهات والاستدلالات قائمة على الدعائم والأصول المعتمدة لدى علماء الشأن في التحليل والترجيح، من تحكيم اللغة والسياق وصحيح المأثور" [١].

فمن يقرأ تاريخ اليهود عن كثب ومعرفة سيجد حياتهم مليئة بالإفساد ابتداء من اتخاذهم العجل في عهد موسى عليه السلام ومرورا بقتل كثير من الأنبياء عليهم السلام

وإفساد بني إسرائيل قبل القران وقبل امة الإسلام رغم انه لا يتصل بشأن من شؤون المسلمين ، فإنه لا ينحصر بمرتين ، فهاتان المرتان حري بهما أن لا تكونا إلا مع هذه الأمة المسلمة [٢]

توجيه الآيات :

وتوجيه تلك الآيات – بناء على عدد مرات الإفساد ـ كما يلي :

يبين القران أنه يصحب هذا الإفساد علو كبير ، والآية مكية وعليه فالمرتان بعد العهد المكي، ذلك أن المقصود ب (عِبَاداً لّنَا) هم من شرّفهم الله بالانتساب إليه وهم الذين سيبعثهم الله على بني إسرائيل عندما يفسدون في المرة الأولى , وما ذُكر في كتب التفاسير من وصف هؤلاء العباد لا يتفق مع الوصف القرآني ، فهم ليسوا من البابليين ولا الكنعانيين ولا الأشوريين ، فكلهم عبدة أوثان كفرة وليسوا عباداً لله ، وعليه فإن إفسادهم الأول كان في المدينة المنورة حيث كان لهم وجود اجتماعي وكيان سياسي واقتصادي كبير في بلاد الحجاز قبل مجيء سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وقد عاثوا في الأرض فساداً من شتى النواحي وعندما جاء الإسلام وهاجر المسلمون زاد كيدهم على الإسلام والمسلمين وزاد إفسادهم فنقضوا العهود وحاولوا قتل الرسول– صلى الله عليه

[1] ـ النصيرات ، د. جهاد محمد ، بحث بعنوان : اثر الواقع في اختلاف النص القرآني عند المفسرين ، ص ١٩
[2] ـ عباس ، د. فضل ، المنهاج نفحات من الإسراء والمعراج ،ص ١٢٠

وسلم - وكانوا دائما يقدمون يد العون لقريش لمحاربة المسلمين وفي هذه الحال بعث الله عليهم هؤلاء الصفوة الخيرة (عِبَاداً لَنَا) وهم عبادهُ المؤمنون أصحاب رسول الله فنفذوا حكم الله فيهم [١]

وكلمة العباد تطلق فقط على المؤمنين ، والآيات المكملة هي التي تزيد الإيضاح وتزيل الإبهام في أن العباد الذين جاسوا خلال الديار هم المسلمون ، والجوس هو (التدمير الأول)[٢]

وعندما بدأت صلة المسلمين بمرور الزمن تضعف بدينهم ، وبدأوا ينقضون عُرى الإسلام عروة عروة ،وكانت النتيجة الطبيعية أن يتبدل الأمر وسنن الله لا تتخلف ، فهنا تمكن اليهود من المسلمين وأصبحت لهم الغلبة عليهم ، وتحققت المرة الثانية للإفساد وهذا ما بينته الآية الكريمة ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً "

ويرى الأستاذ الخواجا أن كرّ اليهود كان على بلاد الشام وعلى فلسطين خاصة وهذا الواقع الحالي الذي يعيشه الآن وتعيشه اليهود ، ويرى أنه لم يحصل في التاريخ أن أمة صرعت اليهود وإبادتهم ثم انتصر اليهود عليهم وغلبوهم وأصبح لهم مرة ثانية عليهم دولة إلا امة الإسلام ، فكل الأمم التي أبادت اليهود وحاربتها ، اندثرت وزالت ، ولهذا السبب تستبعد الروايات الواردة في كتب التفسير التي توحي بأن الإفسادين يتعلقان بأمة واحدة ، ذلك أن تلك الأمم من بابليين ورومان وفرس لم تكن الحرب بينهم وبين اليهود سجالا [٣].

ثم إن الآيات بينت أن الذين وقع عليهم الإفساد اليهودي الثاني هم الذين أزالوا الإفساد الأول وقضوا عليه وعلى اليهود ، ولهذا فالذين سيقع عليهم الإفسادان هم أمة وليسوا أشخاصا كما يقول المفسرون السابقون ، وعليه فإن الروايات التي ذكرت أن الذين سيقع عليهم الإفساد هم اشعياء أو زكريا وولده عليهم السلام وغير ذلك مردودة وغير صحيحة [٤]

ويؤكد هذا المعنى أن كلمة (الكَرَّة) يُعبر بها عن الدولة ، والتاريخ يشهد أنه لم تقم لليهود دولة في تاريخ المسلمين ، والواقع يقول أن هذه الدولة إنما كانت في أيامنا هذه ، ثم إن مما يؤكد ذلك هو الآية " وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً " وليس هناك احد إلا ويدرك تحكم اليهود بالمال،كما وتدل الآيات الكريمة على أن الإمداد بالمال ليس من أنفسهم وإنما اعتمادا على غيرهم وهذا ما نراه اليوم فلولا مليارات الدولارات التي تصل الكيان الصهيوني لما أستطاع أن

[1] - عباس ، د. فضل ، المنهاج نفحات من الإسراء والمعراج ص١٢٠-١٢٣ بتصرف ، وانظر : الخواجا ، ثابت عبد الحليم ، حتمية زوال دولة بني إسرائيل ، ط١،٢٠٠٢م ، دار البيارق : بيروت ، ص٢٣٢-٢٥٢بتصرف
[2] - الخواجا ، عبد الحليم ، حتمية زوال دولة بني إسرائيل ، ص٢٣٤
[3] - الخواجا ، عبد الحليم ، حتمية زوال دولة بني إسرائيل ، ص٢٥٣باختصار وتصرف
[4]- الخواجا ، عبد الحليم ، حتمية زوال دولة بني إسرائيل ، ص٢٣٧بتصرف

يتغلب على فساده الاقتصادي والاجتماعي وأزماته المالية ومشروعاته الحربية ضد الإسلام والمسلمين ، وأما البنون فهم الذين يحملون السلاح ، وأما قوله أكثر نفيرا فبعض المفسرين يرى في معنى الآية جعلناكم في هذه المرة أكثر منكم في المرة الأولى ، والبعض الأخر من المفسرين يرى المقصود جعلناكم أكثر من عدوكم نفيرا .وعلى الرأي الأول فاليهود في المرة الأولى لم يكونوا إلا في المدينة المنورة ، ولكنهم في هذه المرة الثانية جاءوا من كل صوب ، وعلى الرأي الثاني ، فقد كانوا أكثر نفيرا منا ، ذلك أن جميع الدول تقف لجانبهم وتؤيدهم ماديا ومعنويا ، وعليه فإن كلا الرأيين صحيح [١]

ثم نجد الله عز وجل يخاطبهم " إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا " ووعد الله يتحقق بأنه سيجيء وعد الآخرة وذلك عندما يعيث اليهود في الأرض فسادا وهذا ما نجده هذه الأيام من ارتكابهم لشتى المجازر البشعة وطغيانهم اللامحدود من قتل وهدم وكيد وظلم ، ويستولي عليهم الغرور والكبر ، عندها يأتي وعد الله الحق " فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً "وفي الآية دلالات تشير إلى أن المسلمين سيسوءوا وجوه اليهود ويجلبوا عليهم المساءة والإذلال ، ويدخلوا المسجد الأقصى فاتحين ، ويغلبونهم ماديا ومعنويا بهدم كل الحصون والقلاع التي ظنوا أنها مانعتهم من الله ، والتدمير المعنوي والنفسي أشد وقعا من التدمير المادي ، لذلك فالإفساد الثاني هو ما نعيشه اليوم والوعد الرباني قادم لا محالة بإذن الله ، لكن وقته في علم الغيب .

ولعل هذا الرأي هو الأقرب للصواب ولكن هذا لا يمنعنا من توضيح أكثر للمسألة ، ولأن ميدان دراستنا التفسير الوسيط لمحمد طنطاوي ، أرى أنه لابد من عرض رأيه في المسألة وعرضها للنقاش ، ذلك أنه اهتم كثيراً ببيان هذه الطائفة في تفسيره .فالدكتور الطنطاوي في كتابه (بنو إسرائيل في الكتاب والسنة) الذي بثه في تفسيره الوسيط ، يعرض لمسألة إفساد بني إسرائيل في الأرض بعد رده على ما أثاره مقال للدكتور عبد المعز رداً مطولاً ، وفيما يلي عرض ما ذكره د. عبد المعز ورد طنطاوي عليه ورد جمال أبو حسان[٢] على طنطاوي ، ثم في نهاية الأمر نعرض رأي الدراسة في المسالة .

يقول الأستاذ عبد المعز عبد الستار: " إن الله عز وجل يحدث عن الإسراء بمقدار ما يبشر نبيه والمسلمين المضطهدين بمكة المستضعفين في الأرض، بأن أمرهم سيمتد ويعلو وشيكاً حتى تدين

---

[1] - عباس ، د. فضل ، المنهاج نفحات من الإسراء والمعراج ، ص١٢٢-١٢٣بتصرف واختصار

[2] - رأي د. جمال أبو حسان نقلا عن بحث د. جهاد النصيرات أثر الواقع في اختلاف فهم النص القرآني عند المفسرين

لهم عاصمة الشرك، وعاصمة أهل الكتاب، فهو يقول ﴿ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ المَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ ولم يقل من مكة إلى بيت المقدس كما هو الحال، إذ الكعبة يومئذ لم تكن مسجداً، وإنما كانت بيتاً تقوم حوله الأصنام ويطوف به العائذون المشركون، ولم يكن هيكل داوود وسليمان في دولة يهوذا وإسرائيل مسجداً، وإنما كان بيتاً يأكل بنو إسرائيل من حوله السحت ويعيثون الفساد، ولكن الله عز وجل حدّث عن هذا الإسراء بأنه انتقال من مسجدٍ إلى مسجد تبشيراً للمسلمين بأن أمرهم سيعلو ويتم، بحيث يصبح البلد الذي استضعفوا فيه وهانوا وحلت حرماتهم فيه مسجداً حراماً ودار امن وسلام، وليس هذا عجيباً بل سيمتد نفوذُه وضياؤه بحيث يصلُ عاصمة أهل الكتاب ويصبح هيكل داوود وسليمان لهم مسجداً أقصى لذلك فهم أولى به "[١]

وقد ردّ د. محمد سيد طنطاوي على الأستاذ عبد المعز ردا مطولاً وذلك بعد أن عرض بأمانة المقال الذي كتبه الأستاذ عبد المعز كاملاً ثم ناقشه مناقشة مستفيضة[٢]

ومما رد به الدكتور محمد طنطاوي على الأستاذ عبد المعز:

١- يفهم من كلام الأستاذ عبد المعز أن المراد بـ (الكتاب) القرآن، وهذا لا ينساق إلى ذهن من يقرأ لأن الله تعالى يقول ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ثم يقول سبحانه بعد ذلك ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ فالكتاب في الثانية هو عين الكتاب الأول في الآية الأولى وهو التوراة، وهذا المعنى المتبادر من الآيات قد أجمع عليه المفسرون وبإثباتنا أن المراد بالكتاب هو التوراة، نكون قد هدمنا -كما يقول طنطاوي- أساس رأيه من أن المراد به هو القرآن، وهدمنا ما بناه على هذا الرأي من أن مرتي الإفساد في الإسلام [٣].

والحقيقة أن دعوى الإجماع التي استند إليها الدكتور محمد طنطاوي لا وجه لها؛ لأنه ليس هناك إجماع، والكثرة لا تعني الإجماع، والسياق يؤيد أن المراد بالكتاب (القرآن) ولا يلزم من إعادة (الكتاب) في الآية الثانية أن يكون عين الأول [٤]. ثم إنّا قد بيّنا من قبل في هذا المبحث أن المقصود بالكتاب هو اللوح المحفوظ.

---

[1]- مقال: سورة الإسراء تقص نهاية إسرائيل نقلاً عن بحث د. جهاد النصيرات : أثر الواقع في اختلاف النص القرآني عند المفسرين ، ص ١٩

[2]- انظر:طنطاوي ، محمد ، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ٢/٣٨٠-٣٩٦.

[3]- طنطاوي ، محمد ، بنو اسرائيل في الكتاب والسنة ، ٢/٣٨١.

[4]- النصيرات ، د. جهاد ، اسباب اختلاف المفسرين ، ص٢٠ نقلا عن د. جمال أبو حسان في بحث: طلائع الإعجاز الغيبي

٢- يعترض الشيخ محمد طنطاوي على الأستاذ عبد المعز في أن المراد بـ ﴿ وَعْدُ أُولاهُمَا﴾ الدور الذي قاموا به على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وما عاقبهم الله به، وذلك؛ لان المفسرين يرون أن الأرض في قوله ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ هي أرض الشام التي كان يسكنها اليهود وقت نزول التوراة وليست أرض الجزيرة، ثم إن إفسادهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم دون ما قاموا به من إفساد قبل ذلك، وإفسادهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ في غالبه طابع النفاق والمخادعة وعدم المجاهرة، ووصف فسادهم بـ(عُلُوّاً كَبِيراً) لا ينطبق على حالهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إن ما أصابهم من عقوبات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد أصحابه شيء هيّن بالنسبة لما أصابهم من عقوبات قبل ذلك على يد البابليين والرومان وغيرهم[١].

والحقيقة أن الاعتراض على معنى (الأرض) وتحديدها بأرض الشام اعتراض غير لازم؛ لان المسألة خالية من النصوص وباب الاجتهاد مفتوح، وأما قضية أن إفسادهم قبل الإسلام كان أشد فهذا أمر اجتهادي، ينهض على مدى الاعتماد على الروايات التي جاءت في كتب التاريخ والكتب المقدسة ومدى مصداقيتها، ثم إن (العلو) يمكن أن يكون مرافقا للإفسادة الثانية بدليل العطف ، وأما أن إفسادهم في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يأخذ طابع النفاق والمخادعة فليس الأمر كذلك، فقد شنوا الحروب وألبوا الأحزاب على النبي -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين، وأما قضية العقوبات وأنها اقل في الإسلام فهي –أيضا- مسألة اجتهادية فقد تعرضوا للإجلاء والقتل في الإسلام، ثم إن الروايات التاريخية القديمة لا يعول عليها تماماً في هذا الموضوع [٢].

٣- اعترض الشيخ محمد طنطاوي على الأستاذ عبد المعز بأن المعاقِبين لليهود في المرة الأولى لا تنطبق أوصافهم إلا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم الذين يستحقون شرف هذه النسبة، وقد جاسوا خلال ديار يهود وأما أتباع بختنصر فقد اجتاحوا ولم يجوسوا، واعترض عليه الشيخ الطنطاوي بأن الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم هم عباد الله تعالى، والذين سلطهم الله على بني إسرائيل لإذلالهم بعد الإفساد الأول هم عباده مع كفرهم، ثم إن معنى الجوس عند أئمة التفسير كالطبري والزمخشري والرازي والفراء

[1]. انظر: بنو إسرائيل، ٢/٣٨٥-٣٨٨.
[2]. النصيرات ، د. جهاد ، أسباب اختلاف المفسرين ، ص٢٠ -٢١نقلا عن د. جمال أبو حسان في بحث: طلائع الإعجاز الغيبي

والزجاج هو التردد بين الديار للتفتيش عمن بقي ولم يقتل حتى يقتلوه، وليس معناه التردد بين الدور والمساكن بدون قتال يذكر.[١]

والحق أن كلمة (العباد) وردت في كتاب الله على عدة أوجه، لكن السياق في قوله ﴿ عِبَاداً لَنَا ﴾ والتي لم ترد إلا في هذا الموضع بهذه الصيغة يعني أن أصحابها مميزون، وهذا لا يكون إلا للصحابة، وأما معنى (الجوس) عند المفسرين الذين نقل عنهم فليس بلازم إذ اللازم على تركيب ﴿ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ﴾ يعني أن الديار كانت مفتوحة مذللة يدخلها هؤلاء بلا عناء[٢].

٤- يعترض الشيخ محمد طنطاوي على الشيخ عبد المعز في أن معنى ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ بأنها تعني إحتلالهم فلسطين، و بأنهم أمدوا بثلاث ما أمدوا بتاريخهم بمثلها وهي الأموال والبنون وكثرة النفرة، والأمرُ ليس كذلك، فالآية تعني أن أخلاقهم تحسنت، وتركوا الإفساد حتى رد الله لهم الكرة على عدوهم وتلك سنة الله في خلقه، واليهود في زماننا ما زالوا على فسادهم وإفسادهم، وأما إمدادهم بالأموال والبنين، فانه ينطبق على حالهم في عهد داوود وسليمان عليهما السلام.[٣]

والحق أن ردَّ الكرّة ليس لصلاح اليهود، ولكن لتراخي المسلمين عن دينهم وقرآنهم، أما إمدادهم بالأموال والبنين قبل الإسلام فهي روايات، والمسألة تبقى اجتهادية.[٤]

٥- يعترض الشيخ محمد طنطاوي أيضا بأن قول الأستاذ عبد المعز في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ ﴾ بأنها الكرة الآخرة من مرتي إفسادهم، بل إن المراد بالآخرة في الآية يوم القيامة كما يفيده السياق، وكما نقل عن الزمخشري والرازي والقرطبي.[٥]

ونرد على الشيخ طنطاوي بأن المقصود بالآخرة في الآية الكرة الآخرة ، وليس يوم القيامة وهذا ما يؤكده السياق وموضوع الآيات .

وبعد هذا العرض لمناقشة الشيخ طنطاوي للأستاذ عبد المعز ، نقول أن ما ذكره الأستاذ عبد المعز هو الأقرب للصواب – والله اعلم – ذلك أن التاريخ والواقع يشهد لذلك ، ولعل خير دليل أقدمه ترجيحاً لهذا الرأي هو توجيه الآيات ، ثم الاجتهاد وفق المعايير المنضبطة في التفسير

---

[1]. انظر: بنو إسرائيل ٣٨٨/٢-٣٩٢.
[2]- النصيرات ، د. جهاد ، أثر الواقع في اختلاف فهم النص القرآني عند المفسرين ، ص٢٠ -٢١نقلا عن د. جمال أبو حسان في بحث: طلائع الإعجاز الغيبي
[3]- انظر: بنو إسرائيل، ٣٩٢/٢-٣٩٤
[4]- انظر : د. جهاد النصيرات : أثر الواقع في اختلاف فهم النص القرآني عند المفسرين ، ص ٢٢
[5]- انظر: بنو اسرائيل، ٣٩٤/٢

بالرأي, وهي كما ذكرها د. فضل عباس – رحمه الله – : موافقة المأثور، واللغة وسياق الآيات. ولأن ميدان دراستنا التفسير الموضوعي فلا بد أيضا من إسقاط الواقع على آيات القران لتقويم الفهم وزيادة البيان .

وهذا المعنى قد ذكره الآلوسي[١] وأبو السعود[٢] والشوكاني[٣]. وما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال[٤].

ويتفق هذا الرأي مع رأي كل من د. فضل عباس[٥] ، ود. مصطفى مسلم[٦], ود . محمد هلال[٧] والأستاذ ثابت عبد الحليم خواجا .

وبيان هذا ما يلي :

١- في المأثور : فإن جميع الروايات التي وردت وذكرها المفسرون لم يرد منها أثر صحيح يوضح لنا معنى هذين الإفسادين ووقتهما

٢- وفيما يخص السياق والسباق للآيات مدار البحث: فسورة الإسراء مكية خالصة استهلت بالحديث عن معجزة الإسراء والمعراج ، قال تعالى" سبحان الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً (٣) " الإسراء:١- ٣

وقد تحدث القرآن الكريم عن بني إسرائيل وإفسادهم مباشرة بعد هذا الحدث الضخم في وقت لم يكن فيه لليهود وجود في مكة المكرمة، ولم يتعامل المسلمون بعد معهم ويكشفوا طبائعهم، ولكن بعد نكبة (١٩٤٨م) أصبح كل من يريد التحدث عن الإسراء إلى المسجد الأقصى، لا بد أن يتحدث عن التوأمة والربط بين المسجدين من ناحية، وان يتحدث عن إفساد بني إسرائيل وتدنيسهم للمسجد الأقصى واحتلالهم للأرض المباركة من حوله من ناحية أخرى، وبعدها جاء قوله تعالى : " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً "الإسراء:

---

[1]- انظر: روح المعاني ص ٢٨/٩
[2]- انظر: إرشاد العقل السليم، ص١١٢/٤
[3]- انظر: فتح القدير، ٢١٠/٣
[4]- انظر : د. جهاد النصيرات : اثر الواقع في اختلاف فهم النص القرآني ، ص ٢٢
[5] - انظر : د. فضل عباس ، المنهاج نفحات من الإسراء والمعراج ، ص ١٢٠-١٢١
[6] - انظر : د. مصطفى مسلم ، معالم قرآنية في الصراع مع اليهود ، ص٢٠٤-٢٠٦
[7] - انظر : هلال ، د. محمد ، الإسراء والمعراج ،ط١ ، ١٩٩٧م ، دار الإسراء ، مؤسسة البشير , ص٣١-٣٢

٩ ، فقد جاءت الآيات في سياق ذكر الصلة بين المسجدين وقوله تعالى " وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ " ينبغي أن يؤول على ما يخص هذه الأمة. وما قاله المفسرون من أن إفساد بني إسرائيل كان قبل الإسلام لا ينسجم مع السياق ومع روح الآيات، وكذلك تحديد الفساد بمرتين مع أن حياتهم مليئة بالفساد. فحريٌّ بهما أن لا تكونا إلا مع هذه الأمة المسلمة.[1]

٣- وفيما يخص اللغة : فالألفاظ والعبارات والتراكيب في هذه الآيات تدلل على هذا الرأي الذي تبنيته.

ففي قوله تعالى:(في الكتاب) المراد به القرآن الكريم؛ لأن القرآن الكريم قد وصف نفسه بهذا الوصف مرات عديدة. وقوله (لتفسدن) و (لتعلن) ما يدل على الاستقبال، وقوله (فإذا جاء وعد أولاهما) فـ (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان، وقوله (وعد) والوعد يكون لشيء في المستقبل أيضاً، وقوله (عباداً) لا تطلق إلا على المؤمنين من خلال استقراء هذه الكلمة في القرآن –وقد اختلفت آراء المفسرين في ذلك ـ ، ولا يمكن أن يراد بها (جالوت) أو (بختنصر) فالعباد هم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن معه من المؤمنين، وقوله (أولي بأس شديد) تمثل حال المؤمنين في المدينة، وقوله ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ كلمة (ثم) للتراخي الزمني هنا، وهي تدل على الفترة الممتدة بين أولئك الصحابة وبين عصرنا الذي نعيش فيه. وكذلك كلمة (الكرة) التي جاءت في سياقها بمعنى الدولة والغلبة[2]، والتاريخ يشهد انه لم تكن لليهود دولة في تاريخ المسلمين خلا ما كان في أيامنا هذه[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾ ولا احد ينكر أن ميزانية بني إسرائيل تتجاوز ميزانية الدول المحيطة جميعها، وان أبواب الهجرة مفتوحة لها من كل دول العالم، ولا يوجد دولة إلا ولها جيش، إلا دولتهم فهي جيش له دولة، حيث تستطيع دولتهم أن تحشد الملايين للحرب من العاملين والاحتياط خلال ساعات قليلة، فقدرتهم على الحشد عند الأمر الإنذاري لا مثيل لها، هذا فضلاً عن نصرة دول الغرب لهم، والواقع يشهد بذلك.

وكذلك فإن " أسلوب الآيات ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا ﴾ و ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ ﴾ يدلان على الاستقبال والتحقق، ففيهما بشرى لما سيحدث في المستقبل وليس لما كان في الغابر القديم. وقوله (وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا) ولم يقل (ما علوتم) يدل على أن ما أقاموه وشيدوه ليس بذاتهم وإنما

[1]. انظر: الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، الإسراء والمعراج، ص١١٣-١١٥.
[2]- انظر:الآلوسي ، شهاب الدين ، روح المعاني، ٢٦/٩
[3]- عباس ، فضل حسن ، الإسراء والمعراج، ص ١١٧.

بمساعدة من وراءهم من دول عظمى تمدهم بكل أنواع القوة " [١].

لطائف قرآنية تؤيد المعنى الذي اخترناه :

من الأفعال في الآيات التي تشيرُ إلى تمكنِ اليهودِ ثلاثة هي : (رددنا) ، و(أمددناكم)، و (جعلناكم) الفاعل في الأفعال الثلاثة " نا " يعود إلى الله عز وجل فهو يفعل لهم تلك الأفعال، وفق حكمته ومشيئته تمهيداً لقضاء المسلمين عليهم. وعند كلام الآية عن فعل المسلمين بهم، فقد عرضت ثلاثة أفعال مسندة للمسلمين المجاهدين هي " : ليسوءوا " ، " وليدخلوا " ، " وليتبروا " الفاعل في الأفعال الثلاثة " الواو " يعودُ على المسلمين، صحيح أن الله هو الذي يقرر ويقدر، لكن إسنادها للمسلمين تكريم من الله لهم، وتشريف لهم. إذاً هي أفعال ثلاثة لليهود تقابلها أفعال ثلاثة للمسلمين[٢] .

و هناك لطيفة قرآنية في " لتفسدن في الأرض " ذكر الله كلمة الأرض للدلالة على أن إفساد اليهود سوف يشملُ العالم بأجمعه و ذلك من خلال ما يمتلكونه من وسائل الإعلام (المحطات الفضائية ، مواقع الإنترنت ، الصحف ..) التي تصل إلى أي مكان على سطح الأرض ، وهناك لطيفة قرآنية أخرى فعندما تكلمت الآية عن تحقق الإفساد الثاني لليهود، وعن تدمير المسلمين له عبرت بحرف الشرط " إذا " فقالت " فإذا جاء وعد الآخرة، ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً ." بينما عبرت بحرف الشرط " إن " عند كلامها عن إحسان اليهود " إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها " عبرت بحرف الشرط " إن " عند كلامها عن عودة اليهود للإفساد " وإن عدتم عدنا " وهناك فرق بين " إذا " و " إن " الشرطيتين . تدخل " إذا " على فعل الشرط إذا كان متحققاً وقوعه متأكداً منه، لا شك فيه، وتدخل " إن " على فعل الشرط غالباً إذا كان مستحيل الوقوع أو مشكوكاً في وقوعه. أي أن الإفساد الثاني لليهود سيتحقق وأن إحسانهم لن يتحقق. وبما أن عودة اليهود للإفساد بعد تدمير كيانهم في إفسادهم الثاني مستحيلة، عبر عنها بحرف " إن " التي تدل على هذا المعنى " إن عدتم عدنا " وإن غداً لناظره قريب، والله تعالى أعلم .

الخلاصة : الإعجاز الغيبي في هذه الآيات في أن الله ذكر لنا أن بني إسرائيل (اليهود) سوف يفسدون في الأرض و أنهم سيعلون في الأرض وستكون لهم مكانة و قوة وأنهم سيكونون أكثر الناس أنصاراً ، و أنهم سيمدهم الله بالأولاد الذين سوف يمتلكون ناصية العلم و الفكر ، و يمدهم بالأموال التي يسيطرون به على الحكام والشعوب و أنهم سوف يجتمعون بعد الإفساد الثاني في فلسطين نظراً لذكر الإفساد في سورة الإسراء التي تتحدث عن الإسراء و المعراج من المسجد

---

[1] ـ النصيرات ، د. جهاد ، أثر الواقع في اختلاف النص القرآني عند المفسرين ، ص ٢٣

[2] ـالخالدي ، د. صلاح ، حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية ، من الشبكة العنكبوتية

الأقصى في فلسطين[1].

وعلى ضوء ما سبق فإن الدراسة تعتمد الرأي القائل بأن الإفسادين لبني إسرائيل وقعا على نفس الأمة التي ما زال الصراع بينها وبين اليهود قائما ، وأن الذين سيغلبون هذه الفئة المفسدة هي الأمة الإسلامية ، والقارئ في كتاب اليوم يلحظ بوضوح أن تلك الآيات تنطبق تمام الإنطباق على هذا الواقع المعيش ، وهنا لابد للأمة من أن تستعيد وعيها وتعجل وعد ربها لتتغلب على هذا الإفساد الثاني الواقع عليها ، وذلك بالرجوع إلى دينها ، وكتاب ربها ، وفي هذا الصدد فإن تفسيرنا الموضوعي لهذه السورة بشكل خاص ولموضوع بني إسرائيل بشكل عام يدعونا إلى القول بأن الوسائل التي يمكن بها استعادة فلسطين وهي مقر الكيان الآن ، واستعادة فلسطين قضاء على فساد بني إسرائيل الثاني وتحقق وعد الله، ودور الأمة يتمثل بالنقاط التالية :

١- أن تثق بأن هناك حربا فاصلة بينها وبين اليهود وان النصر فيها سيكون للأمة الإسلامية ، وهذا مصداق لما ورد في صحيح البخاري ومسلم :

"عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله"[٢]

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود [٣].

٢- أن تدرك بأن الأيام دول وأن ما أصابنا بفلسطين من الممكن تداركه ، متى تحلينا بالإيمان الصادق والعزم والتصميم على استعادة أرضنا ومقدساتنا .

٣- أن توحد الأمة قيادتها وأن تسلمها لأيدٍ أمينة ، وأن تمدها بالعون والتأييد والتوجيه للإصلاح والتقويم ونبذ الخلافات والطائفية بين الشعوب .

٤- أن تعود إلى تعاليم الإسلام فتطبقها على نفسها تطبيقا كاملا وأن تحارب الرذائل التي انتشرت بين الأمة ، ولعل أهم ذلك تنقية الإعلام العربي من الفساد الخلقي الذي طغى على

---

[1] - الخالدي ، د. صلاح ، حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية .
[2] - أخرجه البخاري ، كتاب بدء الوحي، باب قتال اليهود رقم الحديث ٢٩٢٥، ج٤ ،ص ٥١، ومسلم ، باب لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، رقم الحديث ٧٥٢٢، ج٨ ، ص ١٨٨
[3] - مسلم ، باب لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، رقم الحديث ٧٥٢٣، ج ٨ ، ص ١٨٨

عقول الشباب فأصبحوا كالدمى تحركهم المشاريع الصهيونية إلى التخلي عن دينهم وأصلهم وعاداتهم.

ولعل بث الروح المعنوية واستعادة الأمة ثقتها بربها ودينها من أهم الوسائل وأصلحها بل وتشكل بدايات نصر الأمة الإسلامية، على أن يكون دفاع الأمة الإسلامية عن نفسها وهي القوية الواثقة بالجهاد في سبيل الله .

فدور الأمة للقضاء على الإفساد اليهودي الذي سبب للأمة كل هذا الذل والهوان والانحطاط، يكمن بالتربية والفهم والإعداد والجهاد ، استمدادا من كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - .

المبحث الثاني : القيمة العلمية لمنهجية التفسير الوسيط في التعامل مع التفسير الموضوعي

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : المناحي الايجابية في منهجية التفسير الوسيط في التعامل مع التفسير الموضوعي .
- المطلب الثاني : المناحي التي تؤخذ على منهجية التفسير الوسيط في التعامل مع التفسير الموضوعي .

المطلب الأول : المناحي الايجابية في منهجية التفسير الوسيط في التعامل مع التفسير الموضوعي .

إن القيمة العلمية لأي كتاب من الكتب أو مصنف من المصنفات العلمية يقوم قياسها بما يلي[1]:

١- ترجمة العلماء والمؤرخين وأصحاب التراجم لذلك الكتاب وكاتبه ، وما يُطرونه من عبارات التمجيد والثناء وما يشهدون له من أهمية تقوم على أساس متين من المادة العلمية والحداثة والتجديد في التأليف أسلوبا ومنهجا وموضوعا .

٢- الثروة العلمية التي يقدمها الكاتب أو المؤلف في مؤلفاته التي تؤدي إلى بناء العلوم والمعارف .

٣- التأثير الذي يحدثه ذلك المؤلف في نفوس العلماء وطلبة العلم ، فيكون مصدرا معتمدا يرجع إليه في قضايا العلم والمعرفة

٤- اهتمام الباحثين وطلبة العلم بدراسة الكاتب وكتبه ، للتعرف على جوانب شخصيته العلمية واتجاهاته ومنهجه

ولما كانت دراسة هذا التفسير جديدة وترجمة مؤلفه ومنهجه غير واسعة لدى العامة وطلاب العلم ، فإن القيمة العلمية لهذا التفسير جديدة ومبنية على منهجه العام في التفسير ومنهجه الخاص في جانب التفسير الموضوعي .

ومن إيجابيات هذا التفسير :

١- النظر للسورة القرآنية على أنها وحدة واحدة ، ومتصلة تمام الاتصال تقوم على مقاصد ومحاور عامة .

٢- محاولته الجادة للربط بين السورة القرآنية وما سبقها وما لحقها من أجل إدراك المناسبة بين هذه السور .

[1] - المشني ، أ.د.مصطفى إبراهيم ، مدرسة التفسير في الأندلس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م ، ص٨٤٩
وانظر : سارينة حاج يحيى ، منهج سيد طنطاوي في التفسير الوسيط ، ص٢١٩

٣- اهتمامه بتقطيع السور إلى مقاطع وأشواط مع بيان مناسبتها لبعضها البعض في سبيل إبراز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية .

٤- نقده لبعض الآراء التي يظهر فيها التكلف أو عدم الإطراد كما فعل في نقده لرأي الآلوسي في إدراك المناسبات في سورة الأنفال .

٥- إنزال الآيات القرآنية على الواقع المعيش الذي تحياه الأمة الإسلامية .

٦- احتواء التفسير على جمع كبير من أقوال المفسرين وبخاصة أقوال أجلتهم كالطبري وأبي حيان والقرطبي والرازي وغيرهم ، وتميز جمعه لهذه الأقوال بالموازنة بينها مُرجحا ما يبدو له .

٧- استشهاد المفسر وتعزيزه لمعنى الآيات القرآنية بالأحاديث النبوية وأكثرها من رواية الشيخين – البخاري ومسلم – وأقوال السلف الصالح وأحداث التاريخ خيرُ دليل على انتهاج المفسر نهج التفسير الموضوعي ، ذلك أن الباحث في هذا اللون من التفسير يبدأ عمله من واقع الحياة إلى النص القرآني ، ولأن نتائج التفسير الموضوعي نتائج مرتبطة بتيار التجربة البشرية .

٨- عناية المفسر بأسباب نزول الآيات – إن وجد وكان مقبولا – وهذا ما كان واضحا في التفسير في الغالب ، وقد ذكر هذه القاعدة الهامة في التفسير الموضوعي في مقدمة تفسيره[١]، وبيّن ذلك خلال التفسير أن سبب اهتمامه هذا يعود إلى أن معرفة سبب النزول يُعين على فهم النص [٢]

٩- اهتمام المفسر بمرحلة السورة وبالتالي لمكية السور ومدنيتها ، وعرضه لآراء العلماء في ذلك وتميزه أنه في الغالب نجده يعقب على تلك الآراء بذكر رأيه فيقول : والذي تسكن إليه النفس أن هذه السورة ....فيذكر مرحلتها مدعماً رأيه بموضوعات السورة أو الأحاديث الصحيحة أو رأي ما اتفق عليه أغلب العلماء.

١٠- اشتمال التفسير على أبرز ما احتوته السور من الأحكام والآداب التي يمكن للناس أن يأخذوا بها لتحقيق هدايتهم وإصلاح حالهم وواقعهم على ضوء تلك الآيات القرآنية .

---

[1] - انظر : التفسير الوسيط ، ج ١ ، ص١٠

[2] - انظر : التفسير الوسيط ، ج ٦،ص٢٣

١١- اشتمال التفسير على عرض السنن الربانية والاجتماعية ، وهذا طابع التفسير فلا تخلو آيات في أي سورة إلا ويذكر السنن المستفادة من تلك الآيات ، هذا ويمكن أن نَعُدَّ هذا التفسير من كتبِ السنن الربانية .

١٢- تعرض التفسير للعديد من المواضيع القرآنية وأهمها تعرضه لموضوع اليهود وبني إسرائيل، وخاصة عند دراسته لتفسير الآيات القرآنية التي تتعلق بهذا الموضوع ، ويرجع هذا لما كتبه في كتابه (بنو إسرائيل في القران والسنة) فنجد أن أغلب ما ذكره في هذا الكتاب قد أعاد ذكره خلال تفسير الآيات المتعلقة بهذا الموضوع .

هذا وينبع القول في القيمة العلمية للتفسير الوسيط من إيمان الدراسة بأن التفسير من كتب التفسير الموضوعي للقران الكريم ، فكما قررت الدراسة أن التفسير الموضوعي عند الإطلاق يُقصد به الموضوع القرآني ، ومثلت الدراسة لهذا التفسير بعرض موضوع (إفساد بني إسرائيل) تمشيا مع المنهجية المتبعة في عرض الموضوع القرآني لذلك فإنه يمكن أن نقرر هنا ما يلي :

١- تمثيلُ التفسير الوسيط للتفسير الموضوعي مشتملاً على المصطلح القرآني والوحدة الموضوعية للسورة القرآنية .

٢- اعتبار التفسير الوسيط موسوعة مختصرة شاملة لكثير من أنواع المعرفة .

٣- اشتمال التفسير الوسيط على مواعظ وآداب وبيان للأخلاق مما يجعله منهجا للداعية المسلم.

٤- امتاز التفسير الوسيط بميزتين اثنتين، وهما الشمول والصحة.

أما الشمول فلا يفوت المفسر أي مبحث من المباحث الضرورية لفهم الآية وتفسيرها والأمثلة على ذلك كثيرة سنذكر بعض منها خلال البحث بإذن الله

أما صِحةُ المادة وأعني بها عدم الخروج في تأويل الآية عن مدلولها إلى تأويلات بعيدة غريبة يظهر هذا عند تفسير المفسر للآيات التي تتحدث عن معجزات الأنبياء والحديث عن السحر والنسخ [١]

---

[1] - عباس ، د. فضل . المفسرون مدارسهم ومناهجهم ، ص ٤٩١

٥- امتاز التفسير الوسيط بعدم الاستطراد ، وهذا من أعظم ميزات التفسير فان القارئ له لا يشعر أبداً أنه خرج من جوُ التفسير إلى جو أخر كما نجد ذلك في كثير من التفاسير ،فلم نجد المفسر يستطرد كثيراً في ذكر التفريعات الفقهية واختلاف المذاهب ،بل يحيل القارئ على كتب الفقه وكتب علم الكلام وغيرها فلا يخرج عن صلب التفسير .

المطلب الثاني : المناحي التي تؤخذ على منهجية التفسير الوسيط في التعامل مع التفسير الموضوعي .

ويتناول هذا المطلب تقويم منهجية المفسر من حيث المآخذ عليه ، وهذا التقويم لا يعني الانتقاص من شأن المصنف أو شأن كتابه فالنقد البنّاء لأي كتاب أو مصنف أو دراسة يزيد تلك المادة قوة وتهدف إلى تصويب الفهم وزيادة المعرفة .

أما عن تلك النقاط التي تؤخذ على منهجية الشيخ في التعامل مع التفسير الموضوعي فهي :

١- أن ذكر الشيخ للترتيب النزولي للسور الكريمة في مقدمة السور ، واهتمامه بها ، وهذا أمر ظني وشاق ولم يثبت عند البحث ولا يتحقق بدراسة المقاصد العامة للقران القائمة على إدراك الوشائج بين السور على ضوء الترتيب المصحفي التوقيفي الذي سار عليه جل العلماء

٢- اكتفاؤه بما قرره غيره من المفسرين دون أن يضيف شيئا ذا قيمة ، مما يعني أنه يكتفي بما وصل إليه غيره وهو يقلده في هذا الجانب دون إضافة تُذكر .

٣- هناك العديد من الأقوال التي ذكرها الشيخ في تفسيره ، نجد أن الشيخ لم يقم فيها بتوثيق هذه الأقوال ، كما وأنه يذكر أحيانا أحاديث ولا يذكر درجتها من الصحة .

٤- أن اهتمامه باختصار المواضيع القرآنية يجعله أحيانا لا يعطي بعض المواضيع حقها فيمر عليها موجزاً وسريعاً .

٥- أن اهتمامه بجانب إبراز مقاصد السورة ومواضيعها جعله يكرر تلك المقاصد أكثر من مرة خلال السورة .

الخاتمة

تناولت هذه الرسالة دراسة التفسير الموضوعي في التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر سابقاً- رحمه الله- ، وقد احتوت على ثلاثة فصول تناولت في الفصل التمهيدي الحديث عن التفسير الموضوعي والحديث عن التفسير الوسيط ومعالم منهج المصنف فيه ، أما في الفصل الأول فقد تحدثت عن أنواع التفسير الوسيط ومنهج المؤلف فيها ، أما في الفصل الثاني فقد تضمنت الدراسة التطبيقية لهذه الأنواع في التفسير الوسيط، والقيمة العلمية لها .

أما أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة فهي :

١- أن النهج في التفسير الموضوعي هو أهم ما ينبغي أن تتوجه العناية به في الوقت الراهن ، لأنه يُجلّي الحقائق التي غابت عن أذهاننا في كل ميدان من ميادين الحياة ، وقد كان التفسير الوسيط يمثل احد التفاسير الحديثة التي اعتنى صاحبها بالتفسير الموضوعي ؛ الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية والموضوع القرآني . لذا يمكن تصنيف التفسير الوسيط من التفاسير التي اتبع أصحابها طريقة التفسير الموضوعي .

٢- أن التفسير الموضوعي لسورة من سور القران الكريم يكون سبباً من الأسباب التي تربط الأمة بالله سبحانه وتعالى وتوثق صلتها به وهذا ما كان واضحا في النماذج التي تناولتها الرسالة على الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية والموضوع القرآني .

٣- الوقوف على منهجية البحث في الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند العلماء والمفسرين وصولاً إلى معالم منهج صاحب التفسير الوسيط في وحدة السورة الموضوعية.

٤- أن معرفة المناسبة بين السور والآيات خطوة هامة من خطوات معرفة وحدة السورة الموضوعية ، ذلك أن المناسبات تربط بين مواضيع المقاطع القرآنية للوصول إلى وحدة موضوع جميع هذه المقاطع .

٥- أن بيان مقاصد السورة القرآنية يفتح المجال لمعرفة موضوع السورة العام الذي يُشكل وحدتها الموضوعية .

٦- الوقوف على منهجية البحث في الموضوع القرآني عند العلماء والمفسرين وصولاً إلى معالم منهج صاحب التفسير الوسيط في الموضوع القرآني

٧- تجلية الدراسة التطبيقية في الموضوع القرآني عند تفسير الوسيط بما يخدم التفسير الموضوعي ويتفق مع روح العصر والواقع المعيش

التوصيات

هذا وتوصي الدراسة بوصايا خاصة إلى كل من :

١- العلماء :

إعطاء التفسير الموضوعي مزيداً من الاهتمام من خلال قيام مجموعة من العلماء بتفسيرٍ موضوعي للقرآن الكريم ، خاصة فيما يتصل بالواقع الذي نعيش من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

٢- الخطباء والوُعّاظ والدعاة :

أن تتوجه عنايتهم إلى عرض مادة التفسير الوسيط , وذلك ليُسر عبارته ولسهولة فهمه للعامة من الناس واحتوائه على موسوعة من العظات والآداب والأحكام والسنن الاجتماعية.

٣- كليات الشريعة :

إثراء الخطة الدراسية بمساقات تعنى بجوانب التفسير الموضوعي وتطبيقاته .

٤- المؤتمرات الإسلامية:

تشكيل هيئات ومجالس علمية مختصة تضم نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بالإضافة إلى غيرهم من علماء مختصين بالعلوم التطبيقية والتجريبية والطبيعية والاجتماعية تلقى على عاتقها مهمة ضبط مفاهيم التفسير الموضوعي ومناهجه بما يخدم القران الكريم بعيدا عن الأهواء ومتحررا من التعصب بكافة أشكاله.

٥- الباحثين وطلاب العلم :

أن تتوجه أبحاثهم إلى دراسة تحقيق المادة العلمية في التفسير الوسيط , وتصنيف موضوعاته بما يخدم التفسير الموضوعي ويلبي حاجة العصر

٦- دور النشر:

برفد المكتبات الإسلامية بتفاسير اعتنى أصحابها بنهج التفسير الموضوعي , وإخراجها للناس بصورة صحيحة خالية من الأخطاء .

المصادر والمراجع

- الأصبحي ، مالك بن أنس ، **موطأ مالك** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، بدون طبعة وتاريخ

- الأصفهاني ، الراغب ، **مفردات ألفاظ القران** ، تحقيق : صفوان داوودي ، ط١ ، دمشق : دار القلم

- الألمعي ، زاهر ، **دراسات في التفسير الموضوعي للقران** ،مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ،ط١

- الآلوسي، شهاب الدين محمود ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، طبعة عام ١٩٩٤م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري** ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض

- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي (٦٩١هـ) ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، دار الجيل، بدون طبعة وتاريخ

- البقاعي ، برهان الدين إبراهيم بن عمر ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، ط١ ، قطر : وزارة الأوقاف

- البقاعي ، برهان الدين إبراهيم بن عمر ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.

- البيهقي ، أحمد بن الحسين ، **شعب الإيمان** ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه د. عبد العلي عبد الحميد ، إشراف أحمد الندوي ، مكتبة الرشد ، الرياض ،ط٣ ، ٢٠٠٣م

- البيومي ، محمد رجب ، **البيان القرآني** ، دار النصر ، القاهرة ، السنة الثالثة ، ١٩٧١م

- الترمذي ، محمد بن عيسى ، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)** ،تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون طبعة وتاريخ .

- جابر ، خليل حسن ، **بنو إسرائيل والإفساد : الأول والثاني والثالث ونهايتهم على أيدي مملكة المسلمين الأبدية** ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٣م

- الجابري ، محمد عابد ، **فهم القران الحكيم : التفسير الواضح حسب ترتيب النزول** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ،٢٠٠٩م

- الجزائري، أبو بكر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٢م .

- الجمال ، د. محمد عبد المنعم، **التفسير الفريد للقرآن المجيد**، بدون طبعة وتاريخ.

- جوهري، الشيخ طنطاوي(١٩٤٠م) **الجواهر في تفسير القرآن الكريم**، المكتبة الإسلامية،ط٣، ١٩٧٤م.

- حجازي ، محمد محمود ، **الوحدة الموضوعية في القران** ، القاهرة : دار الكتب الحديثة

- الحصكفي ، محمد بن علي ، الدرالمختار شرح تنوير الابصار ، تحقيق : عبد المنعم خليل ابراهيم ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

- ابن حنبل ، الإمام أحمد ، **مسند أحمد بن حنبل** ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، بدون طبعة وتاريخ

- حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.

- حويش ، عبد القاهر ملا ، **بيان المعاني على حسب ترتيب النزول** ، مطبعة الترقي ، ١٩٦٣م

- أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي ، **البحر المحيط** ، دراسة وتحقيق :الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ،١٩٩٣م

- الخالدي، صلاح،**التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، دار النفائس ، عمان ، ط٢

- الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد، **البيان في إعجاز القران . ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القران**، دار المعارف ، القاهرة , ط ٥

- الخواجا ، ثابت عبد الحليم ، **حتمية زوال دولة بني إسرائيل** ،، دار البيارق : بيروت , ط١ , ٢٠٠٢ م .

- الخولي ، أمين ، **مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب** ، دار المعرفة ، ط١ ، ١٩٦١م

- الخولي ، البهي ، **بنو إسرائيل في ميزان القران** ، دار القلم ، دمشق , ط١

- دراز ،محمد عبد الله ، **النبأ العظيم** ، الدوحة : دار الثقافة ،بدون طبعة وتاريخ

- دروزة، محمد عزة، **التفسير الحديث**، دار إحياء الكتب العربي، طبعة عام ١٩٦٢م.

- الدغامين ، أ . د . زياد خليل ، **التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه** ، دار عمار ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٧م

- الذهبي ، محمد حسين ، **التفسير والمفسرون** ، بيروت : دار الأرقم ، بدون طبعة تاريخ

- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (٦٠٦هـ) ، **التفسير الكبير (مفاتح الغيب)**، المكتبة التوفيقية، القاهرة بدون طبعة وتاريخ.

- الزحيلي ،أ.د.وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر ، بيروت،دار الفكر،دمشق ط١، ١٩٩١م

- الزحيلي، أ.د.وهبة، **التفسير الوسيط**، دار الفكر المعاصر، بيروت، دارا لفكر، دمشق , ط١ , ٢٠٠٠ م

- زرزور ، عدنان محمد، **مدخل إلى تفسير القران وعلومه** ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٥م

- الزرقاني ، محمد عبد العظيم ، **مناهل العرفان في علوم القران** ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط١, ٢٠٠٣ م.

- الزركشي ،بدر الين محمد عبد الله ، **البرهان في علوم القران** ، تخريج وتعليق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت

- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر , **البرهان في علوم القران** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة , بيروت .

- الزمخشري، محمود بن عمر(٥٣٨هـ) **الكشاف،** دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط٢،٢٠٠١م.

- زيد ، د. مصطفى ، **سورة الأنفال عرض وتفسير** ، ط٥ ، مكتبة دار العلوم .

- السجستاني ، أبو داود سليمان بن الأشعث ، **سنن أبي داود** ، دار الكتب العربي ، بيروت ، بدون طبعة وتاريخ

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** حققه وطبعه ونسقه: محمد زهدي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي(٩٨٢هـ) ، **إرشاد العقل السليم(تفسير أبي السعود)،** دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٩٩٩م

- سعيد ، عبد الستار فتح الله ، **المدخل إلى التفسير الموضوعي** ، ط٢ ، القاهرة : دار التوزيع والنشر الإسلامية

- السلمان ، د. فريد مصطفى، **محمد عزة دروزة وتفسير القران الكريم** ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٣م

- السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن** ، تحقيق د.محمود القيسية و محمد الأتاسي، مؤسسة النداء ، أبو ظبي ط١، ٢٠٠٣م

- الشاطبي، أبو اسحق إبراهيم بن موسى(٧٩٠هـ) ، **الموافقات في أصول الشريعة،** وعليه شرح وتخريج بقلم الشيخ عبد الله دراز، دار الحديث، القاهرة، طبعة عام ٢٠٠٥م.

- شحاته ، د.عبد الله ، **تفسير القرآن الكريم،** دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ.

- الشريف، عامر احمد، **أيسر التفاسير،** دار العلم للملايين، بيروت ط ٣ ، ١٩٩٩م

- الشنقيطي، محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،** الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ، الرياض،١٩٨٣م.

- الشوكاني، محمد بن علي(١٢٥٠هـ) ، **فتح القدير،** دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة وتاريخ

- الصدر، محمد باقر، **المدرسة القرآنية،** دار التعارف للمطبوعات، بيروت ط٢، ١٩٨١م.

- الصعيدي، عبد المتعال، **النظم الفني في القرآن** ، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٢م.

- ضيف، د.شوقي، **الوجيز في تفسير القرآن الكريم،** دار المعارف ، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ.

- الطبراني ، أبو القاسم ، سليمان بن أحمد ، **المعجم الأوسط** ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥ه

- الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن،** مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ط٢، ١٩٧٢م.

- الطبرسي، أبو الفضل بن الحسن(٥٣٨هـ) ، **مجمع البيان في تفسير القرآن،** مؤسسة التاريخ العربي،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣ ، ٢٠٠٥م .

- عباس ، د. فضل حسن ، **إتقان البرهان في علوم القران** ،دار الفرقان

- عباس ، د.فضل حسن ، **التفسير أساسياته واتجاهاته** ، مكتبة دنديس ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٥م.

- عباس ، د.فضل حسن ، **المفسرون مدارسهم ومناهجهم – القسم الأول** ، دار النفائس – الأردن،ط١ ،٢٠٠٧م

- عباس ، د. فضل ، **المنهاج نفحات من الإسراء والمعراج** ، عمان :دار البشير، ١٩٨٧م

- عبد الرحمن، عائشة، **التفسير البياني للقران الكريم،** القاهرة دار المعارف ، ط٥

- ابن عجيبة ، أبو العباس احمد بن محمد بن المهدوي,**البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،** تحقيق عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م

- ابن عطية، محمد عبد الحق الأندلسي(٥٤١هـ) ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،** دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م .

- العمري، احمد، **دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني،** ط١، القاهرة, مكتبة الخانجي

- الفرماوي ، عبد الحي ، **البداية في التفسير الموضوعي** ،ط٢ ، بدون دار نشر ولا تاريخ .

- ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا ، **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت : دار الفكر

- الفراهي ، عبد الحميد ، **دلائل النظام** , الدائرة الحميدية , حيدر أباد ١٩٦٨م

- فضل الله، السيد محمد حسين ، **من وحي القرآن،** دار الملاك، بيروت، ط٢. ١٩٩٨م

- الفيروز آبادي ،محمد بن يعقوب ،**القاموس المحيط** ،بيروت :دار الجيل ، بدون طبعة

- القاسم ، محمد ، **الإعجاز البياني في ترتيب آيات القران الكريم وسوره** ،القاهرة ،١٩٧٩م

- القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل،** دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م

- القرطبي ، محمد بن احمد، **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القران)،** تحقيق احمد البردوني وإبراهيم الطفيش،دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م

- القزويني ، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد ، **سنن ابن ماجة** ، كتب حواشيه محمود خليل ، مكتبة أبي المعاطي ، بدون طبعة وتاريخ .

- القضاة، أحمد ، **دراسات في علوم القران والتفسير،** منشورات جمعية المحافظة على القران الكريم ، عمان ، ط٢ ، ٢٠٠٦م

- قطب ، سيد ، **في ظلال القران** ,ط ٧ , بيروت : دار إحياء التراث

- قطب ، سيد ، **في ظلال القرآن،** دار الشروق، بيروت، ط١٠

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر , **تفسير القران العظيم** , دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م

- كشك، الشيخ عبد الحميد ، **في رحاب التفسير،** المكتب المصري الحديث، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ

- الكومي، احمد القاسم، محمد، **التفسير الموضوعي للقران الكريم،** ط١

- آل مبارك، الشيخ فيصل بن عبد العزيز، **توفيق الرحمن في دروس القرآن،** حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبدا لعزيز بن عبد الله بن إبراهيم، دار العليان، ودار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٩٩٦م

- محمود ، د. اسعد، **أيسر التفاسير،** دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٣م

- مخلوف، الشيخ حسنين محمد، **صفوة البيان لمعاني القرآن،** دار الفكر، بدون طبعة وتاريخ

- المراغي، احمد مصطفى ، **تفسير المراغي،** دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة وتاريخ

- الميرغني، محمد عثمان ، **تاج التفاسير،** المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، القاهرة طبعة عام ١٣٩٢ هـ

- المجالي ، د.. محمد خازر ، **الوجيز في علوم القران** ، منشورات جمعية المحافظة على القران الكريم ، ط١ ، ٢٠٠٤م

- مسلم ، د. مصطفى مسلم ، **معالم قرآنية في الصراع مع اليهود** ، دار القلم , دمشق , ط٢

- مسلم، د. مصطفى مسلم ، **مباحث في التفسير الموضوعي،** دار القلم , دمشق , ط٧

- الملا درويش، أبو البركات الشيخ محمد بدر الدين التلوي, **أبدع البيان لجميع آي القرآن،** دار النيل، ط١، ١٩٩٢ م.

- الميداني ، عبد الرحمن حبنكة ، **معارج التفكر ودقائق التدبر** ،دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠٠م

- النيسابوري , مسلم بن الحجاج ,**صحيح مسلم** ، دار الجيل ، بيروت ، بدون طبعة ولا تاريخ.

- وجدي، محمد فريد ، **المصحف المفسر**، مطابع الشعب، بدون طبعة وتاريخ

- هلال ، د. محمد ، **الإسراء والمعراج** ، دار الإسراء ، مؤسسة البشير, ط١ ، ١٩٩٧م

الأبحاث والرسائل

- حاج يحيى، سارينة، **منهج سيد طنطاوي في كتابه التفسير الوسيط للقران الكريم**، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية سنة ٢٠٠٤م ، بإشراف د. مصطفى المشني

- أبو راس ، مروان ، رسالة ماجستير بعنوان: **دراسة موضوعية في سورة الزمر**، إشراف د. احمد نوفل، الجامعة الأردنية سنة ١٩٨٦م

- علان ، علي عبد الله ، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية بعنوان :**منهج مناسبات الآيات القرآنية وتطبيقه على سورة الإسراء**، إشراف د.فضل عباس ، سنة١٩٩٩ م

- فرحات ، د. أحمد حسن ، بحث بعنوان : **التفسير الموضوعي في الرسائل العلمية – دراسة المصطلحات القرآنية ضرب من التفسير الموضوعي** ، مُقدم لمؤتمر التفسير الموضوعي للقران الكريم في جامعة الشارقة سنة ٢٠٠٩م.

- النصيرات ، د. جهاد محمد ، بحث بعنوان : **أثر الواقع في اختلاف فهم النص القرآني عند المفسرين** –إفسادا بني إسرائيل أنموذجاً

- النصيرات ، جهاد محمد ، بحث بعنوان: **منهجية البحث في المفاهيم والمصطلحات القرآنية- نقد وتأصيل-**، مُقدم لمؤتمر التفسير الموضوعي في جامعة الشارقة سنة ٢٠٠٩م

- نوفل ، مجاهد أحمد ، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية بعنوان (**التفسير الموضوعي في المنار**) ، سنة ٢٠٠٨م،

- الشبكة العنكبوتية

- الخالدي ، د. صلاح ، حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية .

- السباعي ، د. هاني , مقال بعنوان (**الحصاد المر لشيخ الأزهر طنطاوي**) ، من الشبكة العنكبوتية .

THE THEMATIC INTERPRACTION IN BOOK " AL-TAFSEER ALWASEET" FOR MOHAMMAED SAYED TANTAWI

Linah Abdulkareem Ghwairy

Supervisor
Dr. Jihad Nusairat

Apstract

This thesis discussed the objective explanation in intermediate clarification to former Al-Azhar Sheikh Dr. Mohammad Sayed Tantawi – God's mercy be upon him . I, commenced the preliminary chapter of this thesis with theoretical study , in which the first subject included identification to objective illustration in respect of its scope , origination, colors and showing its importance ,while its second subject included identification to intermediate clarification ,its owner and characteristics of author's course therein .

Furthermore , such thesis discussed in the first chapter types of objective explanation in intermediate clarification . I , talked in its first subject about objective unity at Quran Surah and intermediate course to deal with ,by establishing the basic fundamentals mentioned by scientists in research methodology for Quranic Sura then to reach the combined basics ,which most scientist agreed upon , discussed intermediate explanation course at objective unity of Quranic Sura , where I illustrated the position of author against those bases put by scientists to determine the objective sura unity and showed Mr. Tantawi's stand of order and occasions of Qurnic suras descending from heaven ,due to scientists differences .

In the second research I, exhibited study to the Quranic subject and course of intermediate to deal with , stipulated the followed methodology and illustrated features of intermediate course to deal with the Quranic subject .

At the second chapter , I , exhibited applicable study to objective clarification types in intermediate explanation and its scientific value and therefore , I specified its first subject to show objective unity in al-Anfal Sura , in which the explainer care was clear for sura subject comparable with scientific methodology mentioned in connection with research methodology of objective unity of Quranic sura and I referred to subject of Israel offspring corruption on the earth as model of Quranic subject in intermediate explanation , dealt with narration about Israel offspring and intermediate course to exhibit their issues on the light of the holy Quran verses , then narration of explicators and scientists opinions at subject of Israel offspring corruption on the earth , then I concluded my research by commentary , preference and likely between those opinions .

I, ended this chapter by talking in its second subject about scientific value of intermediate methodology in dealing with objective explanation , talking about positive sides of such methodology and criticizes to Mr. Tantawi's methodology in dealing with objective explanation .

At the end I, reached mentioning the most important results and recommendations .

Praise be to God !